السنة الاولى   العدد ١٠   ١٥ أيار سنة ١٨٩٨

المشرق

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزڤال اليسوعيّ

(وهي نبذة تاريخية اقترحها علينا حضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي)

١

قد وردت في مجلّة الرسائل الكاثوليكية (سنة ١٨٩٤ في ٧ ايلول) طرفة مستملحة للاب جوليان اليسوعي في بعض اخربة جبل لبنان. افتتحها المؤلف الشهير بقوله ان اهل سورية يطلقون اسم جسر زينب على القناة الرومانية التي بقي منها الى اليوم بقايا ضخمة في وادي نهر بيروت. ثم قال «ومن غرائب عادات السوريين انهم اذا فاتهم اصل اثر قديم من الآثار العاديّة نسبوه الى زينب. اما اذا كان الاثر من الابنية الدينية كالكنائس وغيرها فعزوه الى القديسة هيلانة امّ الملك قسطنطين الكبير» والحق يقال ان هاتين الملكتين قد احرزتا لهما صيتاً في بلاد المشرق لاسيّما سلطانة تدمر التي نحن بصدد ترجمتها. فذكرها طائر في الآفاق. غير ان اخبارها المتداولة بين العامّة ليست الّا اقاصيص من حديث خرافة لا تكاد تطابق ما ينبئنا عليها التاريخ الصحيح

وقد اعتنى بجمع تلك الحكايات كوسين دي پرسڤال في كتاب تاريخ عرب الجاهلية(١) فذكر فيه كل ما اورده مؤرخو العرب في شأن ملكة تدمر واختلقوهُ في سيرتها من ضروب الخرافات وانواع الترّهات. وخلاصة قولهم انهُ كان في ايّام جذيمة الابرش بن مالك اللخمي (واصلهُ من الازد وهو اول من استجمع لهُ الملك بارض العراق من بني نصر) رجل يقال

(١) Caussin de Perceval : *Hist. des Arabes avant l'Islamisme*, II, p. 24 et 190.

لهُ عمرو بن ظرب (ويروى: طرب) وهو من نسل أُذينة بن سميدع من عاملة العماليق. وكان ملكاً على الجزيرة واعمال الفرات ومشارف الشام. وجرى بينهُ وبين جذيمة حروب فانتصر جذيمة عليهِ وقتلهُ وشتَّت شمل قومه وانفلوا. لكنهم لم يلبثوا ان يحشدوا جموعهم وملّكوا عليهم الزَّباء ابنة عمرو. والزباء على ما يروى لقب تلقَّبت بهِ لطول شعرها (١. اما اسمها فقد اختلف في اسماءِ كتبة العرب. فمنهم من قال انها سمّيت فارعة (او فارغة) ومنهم من ادَّعى ان اسمها نيلة او نائلة او نائلي (٢. وذهب بعضهم الى انها تدعى ليلى. وقال آخرون بل كان اسمها ميسون. واذا استنبأتَ الادباء على اصلها ومسقط رأسها قال البعض انها كانت من بلاد الرومان لكنها تعرف العربية. واخبر الميداني في مجمع الامثال انها ولدت في باجرمي. وزعم القزويني وابن قُتَيبة انها ابنة ملك العراق وانها تزوجت الملك الذي قتلهُ جذيمة. اما الرأي الاعمّ فهو ان الزباء كانت من نسل اذينة وابوها عمرو كما قيل

وعلى كل حال فقد اجمعوا القول انهُ لم يُرَ في نساء عصرها اجمل منها ولا اقوى حزماً ولا اكمل عقلاً. قال ابن نباتة انها اعتزلت الرجال فكانت عذراء بتول (٣ وكانت تحبّ الوقائع والحروب وتقود الجيوش كالقائد الشجاع. فلما اجتمع لها امرها واستقرّ لها الملك بذلت كنوزها فجمعت الجموع وقد عزمت على الاخذ بثأر ابيها. ألا انها خافت ان ينتصر عليها الاعداء. فلجأت الى الحيلة ونصبت لجذيمة المكايد الى ان دعتهُ الى قصرها. وكان بين اصحاب جذيمة رجل يقال لهُ قصير بن سعد من بني لخم فشاورهُ في الامر فحذّرهُ قصير وردَّهُ عنها. فلم يذعن جذيمة لنصيحتهِ واتى الزباء فقبضت عليهِ وامرت برواهشهِ فقُطعت فهلك

وكانت الزباء قد بنت على الفرات حصنين متقابلين وجمعت بينهما بقناة تمرّ تحت النهر

١) قال ابن الكلبيّ: كان لها شعر اذا مشت سحبتهُ وراءها واذا نشرتهُ جلّلها فسمّيت الزَّباء. والازبّ الكثير الشعر (عن ابن نباتة طبعة بولاق ص ٤٣)

٢) يعلم اصحاب التواريخ القديمة ان هذا الاسم كان اسماً لاحدى الالاهات التي يعبدها عرب الجاهلية في الكعبة. (راجع Lenormant: *Lettres assyriologiques*, Tome II, 1872.

٣) الزباء هي الملكة التي يضرب بها المثل في العزّ فيقال اعزّ من الزباء. . . . . . واسمها ليلى تملكت بعد ابيها لعدم الولد واحسنت السياسة . . . . . . وكانت تبغض الرجال . . . . . . (راجع شروح مقامات الحريري للرازي وغيره)

ويزعم العرب انها جعلت اختاً لها يدعونها زينب في احد منفذي القناة واتخذت لنفسها المنفذ الآخر. وكانت تسكن في حصنها اكثر زمنها. فاذا جاء الصيف رحلت الى تدمر

وكان عمرو بن عدي خلف جذيمة خاله وقد صمّم على قتل الزباء. غير انهُ خاف من سطوتها فاستدعى قصيراً وقال لهُ: «كيف لي بها وهي امنع من عُقاب الجوّ» (فذهب قولهُ مثلاً) . قال قصير: أعِنّي وخَلاكَ ذمّ (فصار مثلاً) . ثم جدع انفهُ وأذنيه (١ وضرب ظهره فقدم الزباء وشكّا على حاله فقال: ان عمر بن عدي فعل بي ما ترين. فشفقت عليه وأنست به حتى اطلعتهُ على سرّها واظهرت لهُ القناة والمنفذين. فلما عرف ذلك رجع سرّاً الى عمرو فاعلمهُ الامر وحرّضهُ على البطش بالزباء. فركب عمرو في الفي دارع على الف بعير في الجوالق حتى اذا صاروا الى الزباء تقدّم قصير يسبق الابل ودخل على الملكة وقد كانت امنتهُ ولم تتّهمهُ. فادخلت العير في قصرها. فاذا بالرجال خرجوا من الغرائر فثاروا باهل المدينة واعملوا فيهم السيف. فهربت الزباء ودخلت القناة. فلما وصلت الى المنفذ الثاني استقبلها عمرو بسيفه فقالت: بيدي لا بيد ابن عدي (فأرسلتهُ مثلاً) . ومصّت خاتمها وابتلعت سمّاً كان فيه فوقعت على الارض ساهئةً فضربها عمرو وقتلها

تلك هي ايها القارئ اللبيب قصّة الزباء واختها زينب اختصرتها على غاية الامكان(٢ من تآليف العرب ولكن اين هذه الروايات من الاخبار التاريخية الصحيحة التي تخبرنا بشهرة ملكة تدمر وعظمة تدبيرها وفتوحاتها وحروبها مع الملوك الرومانيين وكسرتها الاخيرة ونفيها من صحاري وطنها الى رومة ومقامها في مصيف تِيبور وموتها فيه الى غير ذلك من تفاصيل حياتها واكثرها اليوم راهن مستفيض

ولقد كنّا نظن ان كرور الايام لم يكن ليزيد شيئاً في تلك القصص الملفقة. ألا اننا وقفنا يوماً في هذه المجلة (عدد ٢ ص ٨٣) على قصة اخرى. وهي ان السوريين لم يكتفوا بنسبتهم الى زينب القناة القديمة المذكورة آنفاً بل اضافوا الى ذلك حكاية اخرى فقال قوم

---

١) ومن ذلك المثل: لامرٍ ما جدع قصيرٌ انفه

٢) ومن رغب في مطالعة تفصيل هذه الرواية عليه بكتاب الاغاني (راجع كتاب رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني للاب صالحاني الجزء ٢ ص ٥٤) . وقد استخرج العرب من قصّة الزباء عدة امثال لم نذكر الّا البعض منها خوف الاطالة

منهم ان زُبَيدة زوجة هرون الرشيد هي التي شيَّدتها لاستجلاب مياه نهر بيروت العذبة فاستغربتُ الامر استغرابًا كليًّا وفكَّرتُ في نفسي: «اجل ان اهالي سورية يعرفون اخبار ذلك الخليفة المشهور وزوجته المحبوبة لورود ذكرها مرارًا في كتاب الف ليلة وليلة. على ان نسبة القناة الى زبيدة امر غريب للغاية لان هذا البناء مع استحكام صُنعهِ كان قد مسَّتهُ يد الدهر على عهد الرشيد فثُلَّ قسم كبير منهُ ولم يعُد يجدي نفعًا لاستجلاب المياه... ولعلَّ تلك القصَّة من القصص التي ابتكرها الاهلون لقوَّة الخيال عندهم...»

فلم ازد التنقيش عن الامر الَّا زاد استغرابي لهُ وبُعدي عن معرفة علّته. الى ان اطلعني مدير المجلة على رسالة لحضرة الاب انستاس ماري دي سنت ايلي الكرملي قد سأله فيها عن شأن الزباء. وابدى لهُ الرجاء ان يبين لقرائه الكرام النقل من السين في ترجمة تلك الملكة الشهيرة. فعرض عليَّ حضرة المدير ان اكلّف نفسي بالجواب. فلبَّيتُ الى دعوتهِ وقد اخذتني الرغبة الشديدة في الوقوف على العلاقة التي بين القصتين الموما اليهما وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه ان شاء الله

٢

قد قدَّمنا ان صيت سلطانة تدمر امتدَّ الى الخافقين (١ قال الماركيز دي ڤوكويه (de Vogüé) «لقد فتن ذكر تدمر في كل آونة قارب الناس.» فكانَ ارضها مورد تسابق اليه اصحاب الفنون والمؤرخون والمهندسون والسيَّاح والعلماء ومن كلف بالمسكوكات والآثار القديمة. ولكلٍّ منهم بحث خاصٌ يحيي به ذكر ما اكتسبت تلك المدينة من المجد والقوة في وقت يسير ويُشعر بهبوطها عن منزلتها الفائقة وذلك ما جعلها عبرةً لامم العالم. ولكن مع كل ما بذل علماء القرون السالفة من السعي والجهد في ايضاح تاريخ تدمر وتصحيحه فانهم لم يظفروا من المرغوب الّا بالقليل النزر. امَّا عصرنا هذا فقد ظهر فيهِ منذ خمسين سنة عدَّة مستشرقين واصحاب عاديات يتقدمهم العلامتان دي ڤوكويه

---

١) يعلم قرَّاؤنا الكرام ان تاريخ زينب قد اختاره الاوربيُّون لا سيما الفرنسيُّون موضوعًا للتأليف والروايات المختلفة. غير ان ذكر هذه التصانيف يخرج عن بال الادباء اللهمَّ الّا ذكر رواية قدمها الاب دوبيناك (abbé d'Aubignac) الى الشاعر كورنيل العظيم. ولا يجهل ايضًا القراء ان لابرويار (La Bruyère) الكاتب الشهير قد خصَّص لوصف زينب ومجدها وانكسارها مقالة حسنة يعتبرها ذوو الذوق السليم من ابلغ مقالات عصره

ووادنكتون (Waddington). وهما اللذان افتتحا الدروس التدمرية واتحفا العلم بما اكتشفا من الآثار العديدة في حاضرة مملكة زينب وقرأا من الخطوط المحفورة على مقابرها واعمدة هياكلها وقواعد دُماها. ثم تبعها الاسياد موردتمان (Mordtmann) ودسو (Dessau) وأوتنك (Euting) ولينورمان (Lenormant) وساخو (Sachau) ودي سولسي (de Saulcy) وكلرمون غانو (Clermont. Ganneau) وشرودر (Schröder) وغيرهم ممن يطول بنا ايراد اسمائهم. فلم تمرّ سنة الّا اتسع نطاق تاريخ تدمر فازداد بياناً ويقيناً باكتشافات جديدة

ولعلّ سائلاً يقول: فماذا تنبئنا التواريخ والرسوم القديمة من امر زينب وما هو نسبها وما هي الانحاء التي تولت تلك الملكة تدبيرها والبلاد التي باشرت فتحها. ولاي سبب كُسفت تلك الشمس البهية فحجب نورَها الساطع بعض ملوك رومة المظفرين

أُجيب ان ترجمة زينب على ما مرَّ لا يمكن اقتباسها من اخبار العرب وحدهم. وهنا يحسن بنا ذكر ما قاله ابن خلدون في مقدمته: «ان الذين ذهبوا بفضل الشهرة والامامة المعتبرة في التاريخ هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل». فهذا القول اصحّ في تاريخ زينب منهُ في بقية الاخبار. وهذا ابن خلدون الذي نطق بذلك المقال قد نقل في شأن الزَّباء كل ما سبق اليهِ مؤرخو العرب كما رواهُ ايضاً قبلهُ الطبريّ وهو من جملة المبرزين المعدودين في الانامل الخمس(١

فان كان المؤرخون الشرقيون لا يُرجع الى قولهم في اخبار زينب فاي منهل يا تُرى يجب ان نرده. اقول: اولًا ان الكتبة الذين يجب الاستناد اليهم هم المؤلفون القدماء من الرومان واليونان. نخص منهم بالذكر ڤوپيسكوس (Vopiscus) وتريبليوس پوليو (Trebellius Pollio)

ولها تاريخ في القياصرة. ثم زوزيموس (Zozime) الكاتب اليوناني الذي وضع كتاباً محكم الاجزاء اودعهُ تفاصيل اخبار زينب. وقد جاءت الاكتشافات الحديثة مؤيدةً لمعظم ما اثبتهُ في صددها. ثم المؤرخ زوناراس (Zonaras) وغيرهم ممن سنأتي

---

١) راجع Nöldeke: *Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden.*, 1879, p. XVII. وقد لاحظ المؤلف مثل هذا المعنى في كتابه *Uber die Amalekiter*, p. 34.

بذكرهم في معرض كلامنا. وعلى هؤلاء المؤرخين قد اعتمد كلُّ من كتب قبل زماننا عن ملكة تدمر (١

ثانيًا ومن المصادر الثابتة التي تؤثر على ما سواها من هذا القبيل الكتابات المكتشفة منذ خمسين سنة كما تقدَّم (٢ . وكان اول من سبق الى نسخها العلامة دي ڤوكويه في مجموع الكتابات السامية (٣

هذا وانَّ التصانيف التي أتت بوصف تدمر واحوالها وذكر أمرائها لا يحيط بها احصاء. ولا يكاد يخلو كاتب ممَّن بحثوا عن تاريخ القياصرة والرومان الَّا وتعرَّض لكلام عن زينب وعاصمتها فنهم من اسهب ومنهم من اقتصر وربَّما ذكروا امرًا خاصًّا من امور المدينة كتاباتها وتجارتها: بيد انَّ الكتب الجامعة المشتملة على تفاصيل اخبار البلدة مفردة قليلة جدًّا. ومنها ما لم نتمكَّن من الحصول عليه ففاتنا لذلك فوائدهُ (٤

ولا بأس من ذلك فانَّ الاب مرتين اليسوعي الطيّب الذكر قد اغنانا عن مطالعة كثير من التآليف بما اودعهُ لنا من اخبار زينب في تاريخ لبنان الذي عُرِّب منهُ قسمٌ ملخَّصًا بقلم المعلّم رشيد افندي الشرتوني. فانَّ المؤلف رحمهُ الله كتب في ملكة تدمر نبذة حسنة دوَّن فيها ما امكنهُ من الفوائد المستخلصة من الكتابات التدمريّة. ومن ثمَّ فلم يبقَ لنا الَّا ان نقتفي آثارهُ وننظّم ما اتى بهِ من التفاصيل الخطيرة مع إضافة بعض تعليقات وافادات عن جُلّ ما اكتُشف منذ وفاتهِ الى يومنا هذا (٥. ولم نألُ جهدًا كي تكون هذه المقالة

١) ومن جملتهم جمعيَّة من علماء الانكليز الذين وضعوا تاريخًا عامًّا حسنًا يشتمل على عدَّة مجلدات ضخمة طُبع سنة ١٧٤٠

٢) راجع ما قالهُ في خطارة هذه الكتابات العلّامة نولديك في المجلّة الشرقية الالمانية (Z. D. M. G. 1885, p. 338)

٣) عنوان الكتاب Syrie Centrale, Inscriptions Sémitiques, 1868 اشرتُ اليهِ باوَّل حرف اسم مؤلفهِ (V) وكذلك ساشير بحرف (W) الى تأليف السيّد وادنكتون في الكتابات اليونانيَّة واللاتينيَّة في بلاد الشام (Inscriptions grecques et latines de la Syrie, 1870) وامَّا المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة Journal Asiatique, فالدلالة عليها بحرفي J. A.

٤) وكنَّا نودّ لو اطَّلعنا على تأليفين حسنين في هذه المادة استشهد بهما الكتَّاب احدهما بالالمانيَّة Sallet: *Die Palmyrenische Fürsten*, 1866 والآخر بالفرنسيَّة L. Double: *Les Césars de Palmyre* 1877

٥) ونشكر الابوين هنري لامنس ولويس شيخو لعدَّة إفادات تكرَّما علينا بها لتحسين شغلنا

مطابقة لأصول التاريخ الصحيح ولذلك اشرنا في ذيل الصفحات الى التآليف التي اخذنا عنها في اثناء كلامنا

ومع ما في هذه النبذة من القصور فأملنا وطيد انها ستكون كافية لان تُطلع قرّاءنا على اهم اخبار تلك الملكة التي اذعنت مدّةً بلادُنا لسلطانها فرُزقت بحُسن تدبيرها خيراتٍ عميمة

ومما لا يسعنا السكوت عنهُ في هذا المقام هو رغبتنا الشديدة في ان يُقبل ادباء الشرق على تلك الدروس التاريخية التي سبقهم اليها علماء الفرنج فصرفوا بسخاء في مزاولتها ما لديهم من الوسائل الادبية والمادية فيجري وطنيُّونا على مثالهم لئلاَّ يقال ان الغريب ادرى بما في البيت من اهلهِ(١

٣

ان اسم صاحبة ترجمتنا في اللغة الآرامية בתזבינה (بَتْ زبِينَه) معناه فيها ابنة التاجر وعلى هذه الصورة ورد في الكتابات التدمريّة. وقد اضافت اليهِ اسماً آخر رومانياً جرياً على عادة الشرقيين الذين كانوا في عصرها تحت حكم الدولة الرومانية فتسمَّت بسبتيميا (Septimia) واكثر دلالة مثلِ هذه الالقاب على عائلة المتكنّي بها(٢. أمَّا اسم زينب (Zénobie) فهو على ما ارتأى وادِنكتون(٣ صورة اسم يوناني قد اعتاد الشرقيون في تدمر وانحاء سوريّة ان يزيدوهُ على اسمائهم الساميَّة ولعلَّهُ يوجد في اسمها إلمام باسم ابيها زِنوبيوس (Zénobius)(٤. وكان هذا من اعيان تدمر متقلّدًا فيها رُتبة قائد جيش سنة ٢٢٩ للمسيح لمَّا اجتاز في تدمر الملك اسكندر ساويروس عند سيرهِ الى محاربة الفرس. ثمَّ رُقّي بعدئذٍ الى مقام الأغورانوم (ἀγορανόμος) اي مُناظر التجارة

(ستأتي البقيَّة)

---

١) راجع المشرق ص ٣. راجع ايضاً (في العدد ٦) مقالة مفيدة للاب لامنس عنوانها «هباً على درس تاريخنا» اودعها صاحبها نصائح جديرة بالاعتبار نودّ ان تخرج الى حيّز العمل

٢) والرومان يدعون هذا الاسم الزائد gentilicium

٣) W. N^os 2598 et 2611

٤) ومما يؤيد صحَّة هذا الرأي انَّ اسم زينوبيوس كثر ورودهُ في التواريخ الشرقيَّة الدينيَّة والدنيويَّة ممَّا تقراهُ تارةً على صورة «زينوس» واخرى على صورة ܙܢܘܒܐ (زينبا) وقد تسمَّى بها بعض بطاركة واعيان الكنيسة الانطاكيَّة (راجع لوكيان المشرق المسيحي الجزء الثاني ص ٧٠٤ والمكتبة الشرقيَّة للسماني الجزء الاوَّل ص ١٥)

نظر في بعض المعرَّبات

للابوين انستاس الكرملي البغدادي ولامنس اليسوعيّ

قد اتانا بهذا العنوان رسالة لحضرة الاب الفاضل انستاس الكرمليّ الذي يعرفهُ قرّاؤنا الكرام بكتاباتهِ المفيدة ودقّة نظرهِ في المباحث افتتحها بما لفظهُ :

« في هذه الايام احتجت الى طلب معاني بعض الفاظٍ عربية بمعانيها المدققة واول كتابٍ وقع بيدي كتاب الفُرُوق للأب هنري لامنس اليسوعي واول كلمةٍ طلبتُها فيهِ كانت « الإسْفنط » فتعجبت من ان المؤلف لم يذكر انها اعجمية بل وتعجّبت اكثر من ذلك حينا رأيتُ بانهُ ذكر للفظة خندريس كلمةً يونانية بمعنى البُرّ او الحنطة وتكلّف تكلّفاً بيّناً في ذكر كيفيّة بلوغ العرب الى هذا المعنى . فحداني هذا الى أن انظر الى فهرس الكتاب واراجع ذكر بعض الألفاظ المعرّبة مع اعجميّاتها فوقفت على بعضٍ منها استغربتُها بعض الاستغراب وانا اذكر شيئاً منها هنا على وجه الشكّ لا على وجه اليقين لعلّ بذلك شفاء الغلّة وارواء الغلّة فاقول : »

١ « ذكر الثعالبي في فصل : ممّا نسبَهُ بعض الأيمة الى اللغة الرومية : « الخَنْدَرِيقُون والرَّساطون والإسفنط اشربةٌ على صفاتٍ »اه . وعليهِ فالاسفنط اظنها معربة عن اسفنديوس ἀσπένδιος (aspendios *vilis*) وهو ضربٌ من الكرم لا يحلّ تقديم خميرها قرابين عند الوثنيين . ولا يخفى على العاقل بان تسمية الخمر باسم الكرم ممّا هو مألوف قياسيّ لا يحتاج الى اثباتهِ . امّا الرساطون فقد ذكر المؤلف اعجميّتها صحيحًا

(نقول) اننا في واقع الامر لم نذكر في كتابنا « الفروق » اصل كلمة الاسفنط وغيرها من الالفاظ وذلك لانّ غايتنا الاولى في هذا التأليف انّما كانت بيان معاني الالفاظ المترادفة وان كنّا استطردنا الى ذكر اصول بعضها . هذا واننا نوافق حضرة الاب انستاس في اشتقاق الاسفنط من اليونانية لكننا نختلف في اللفظة المأخوذة عنها . فانّ مكاتبنا الفاضل يرى ان اصل الاسفنط ἀσπένδιος الّا انّ هذه الكلمة قليلة الاستعمال من الالفاظ الشعريّة « ومن شروط الاخذ كما قال حضرة الاب انستاس في معرض كتابهِ ان تكون الكلمة شائعةً بين اصحابها » متداولةً بين القوم فينقلها الاجنبيّ الى لغتهِ لكثرة انتشارها . وانّني افضّل على الاصل السابق لفظة ἀψίνθιον التي يوافق معناها اكثر موافقة لمعنى الاسفنط الذي شرحهُ ابن السكيت في تهذيب الالفاظ بعصير العِنَب . ونعتهُ ابو سعيد بأعلى الخمر

واصفاهُ. وان قال قائل ان تعريب ἀψίνθιον هو إِسْفَنط ليس إِسْفِنطًا. اجبنا انَّ نقل الحروف في الالفاظ المشتقَّة كثير في كل اللغات فليس في ذلك كبير امر (١). وقد آثر الاب لويس شيخو لهذه اللفظة اصلًا آخر عرضهُ في شرحهِ على كتاب تهذيب الالفاظ (ص ٧٦٢) وهو كلمة σπονδή. فالاشتقاق حسن لكنَّ معنى σπονδή الشائع وهو تقدمة الخمر لم يُرد بهِ الخمر الّا توسعًا

ثمَّ اردف حضرة الاب انستاس قولهُ شارحًا لاصل «الخَنْدَريقون»:

«والخَندَريقون معرّب خليدونيوم الرومية Χελιδόνιον (Chelidonium vinum) ومعناهُ الخمر المطيَّبة بحشيشة الخطاطيف. وهذا التحرُّف بالأعجميَّات عند العرب من ايقاع القطع فيهِ والحذف والزيادة والنقصان والتحويل والتبديل والنقل والقلب وكل ذلك اعتباطًا كثير عندهم يُعَدُّ باللئات اجتزئ من ايراد شواهد لاثبات مقالي بهذا الخصوص بشاهدين لا اكثر خوفًا من ايراث الملل: الاوَّل معرّب كلمة τρωγλοδύτης troglodytes فقالوا فيهِ طروغلوذيتس. وقال الرازي وابن البيطار طرغلوذيس. وقال الرازي في الحاوي: انهُ يسمَّى بالافرنجية صغراغون (بغين بعد الصاد وليس لهذه اللفظة وجود في لغة من لغات الافرنج). ثم قال ابن البيطار: «ديسقوريدوس في الثانية هو نوع من الطير يُسمَّى بالافرنجية صفراغون الخ» (بفاء بعد الصاد وليس لها وجود كالاولى). وذكر الدميري هذا الطير باسم طرغلودس وقال: ان اهل الاندلس يُسمُّونهُ الضُّرَيس. وذكرهُ صاحب محيط المحيط نقلًا عن لغويّي العَرَب باسم طرعلودس (بعين مهملة) وطرعاوس (بحذف الدال والذال قبل السين) وطرغاودس. ولم أرَ ذكرًا لهذا الطائر في كُتُب متن اللغة التي بيدي من مثل القاموس وتاج العروس والاوقيانوس ولسان العرب. فانظر ايها القارئ حفظك الله كيف ان اللفظة الواحدة مُسِخت بهذه الأطوار الغريبة ومن بعد ان كانت طروغلوذيتس اصبحت بألسُن العامَّة ضُرَيسًا

«والشاهد الثاني طَرَسْتُوج. وهي كلمة فارسيَّة لنوعٍ من السمك يكثر في بحر فارس واسمهُ بلسان العلم طريغلا (Trigla) فذكرها صحيحًا ابن البيطار وقال «يقال سرستوج

---

١) راجع ما كتبهُ في اشتقاق هذه الكلمة المعلّم فرنكل في كتابهِ الموسوم Die aramæischen Fremdwörter im Arabischen في الصفحة ١٦٢ و ١١٥. هذا ولا اجهل ما في قولهِ من المشاكل التي لم تُحلَّ بعد

وهو حوت بحري يسمى باليونانية طريفلا (بفاء كذا والاصح انها بالغين كما مرَّ بك) وبعجمية الاندلس المل » ا. (والملّ لا وجود لها بعجمية الاندلس اي اللغة الاسبانيولية) ومكتوب في الهامش: « وبهامش الاصل بدل سرستوج ترستوج. اه. وذكر الدميريّ هذا السمك باسم الطرسوح. فتأمّل وتجلّد ان الله مع الصابرين »

نقول انَّ في هذه الملاحظات فوائد بيد انّ شرح الاب انستاس في اصل الخَيديقون لا يقنعنا لما يقتضيه من ابدال حرف اللام اليونانية (λ) بالدال العربية وذلك امرٌ ينفيه السَّمع. وعلى ظنّنا انّ الخيديقون والقِنديد اشتُقّا من اصل واحد. وعلى رأي الاصمعيّ انّ القنديد مثل الاسفنط اي عصير العِنَب يُطبَخ ويُطيَّب بالأفاويه. فمن هذا يظهر انّ اصل الكلمة من اللاتينية (conditum *vinum*) وهو الخمر المطيّبة[١] فدخلت اللفظة بين العرب لمجاورتهم الروم. واذا سأل سائل كيف اشتُقَّت خَيديقون من قِنديد أجبنا ان ذلك بواسطة اللغة السريانية ܩܘܢܕܝܩܘܢ وهي بدل ܩܘܢܕܝܛܘܢ ومثلهُ في العبرانية الآرامية קונדיטון (قونديتون) كما لاحظ ذلك الاب برون في معجمهِ السرياني اللاتيني (ص ٥٨١). وصحّف العرب « قونديقون » فصارت خيديقون

ومن غريب الامور انّ الالفاظ الثلاثة « الاسفنط والقنديد والرساطون » جاءت متتابعة في بعض كتابات الملك ديوكليسيان كما ترى: « 17 conditum, 18 apsinthi, 18 rosathi » وهذا ممّا يؤيد شرحنا السابق لاصل كلمة « الإسفِنْط »

ثم زاد مُراسلنا اللغوي ما يلي وقولهُ جديرٌ بالثناء:

٢ً « اما الخندريس فقد ذكر الاب لامنس ان اعجميتها « χόνδρος اي حبّة حنطة وعلى ظني ان العرب جهلوا معناهُ او غيَّروهُ بعض التغيير كما ترى فبقي منهُ اثر في حنطة خندريس وقيل انهُ فارسي. والله اعلم. » انتهى كلام المؤلف. امَّا انا فاظنّ انهُ معرّب عن اليونانية κανθαρίτης οἶνος او الرومية (cantharites vinum) وهي على ما ذكرها بلينيوس: خمرة كريمة كان يؤتى بها الى بلادهم من بلادٍ وراء البحر المتوسط. امّا قولهم حنطة خندريس بمعنى قديمة فهي مأخوذة من κανθαρίς او cantharis, نوعٌ من السوس

---

١) راجع كتاب الفروق عدد ١٠٥٦ — وللاب لويس شيخو في شرحهِ على ابن السكّيت (ص ٧٦١) رأي آخر في اصل القنديد قال: والقِنديد اصلهُ عسل قصَب السكّر مثل القَنْد فاستُعير للخمر

يقع في الحنطة كما تقول حنطة مسوَّسة اي قديمة . امَّا اللفظ الذي اخذهُ العرب عن الروم بمعنى الحنطة بل قل الاصحّ الشعير الرومي فهو خندريس كما ذكر المؤلف لا خندريس»

(نقول) اننا كنا ارتأينا سابقًا انّ اصل الخندريس χόνδρος مستندين الى فرنكل احد اللغويين المشتهرين(١ . لكنّنا نظنّ ان شرح الاب انستاس اقرب الى الصواب . نعم ان حرف χ يعرَّب عادةً بحرف الخاء ولكن ربَّما عُرِّب ايضًا بالكاف نحو كِلس من χάλιξ وكيلوس من χυλός وكيموس من χυμός وكورة من χώρα الخ

ثمّ قال الاب انستاس في ايراد اصل لفظة أذرِيطوس او بالحري أذروطس :

٣ «وذكر معرَّب اذريطوس ἱδρῶτας ولم نجدهُ في المعجمات التي بيدنا بل وجدنا ἱδρωτήριον بمعنى معرق»

(نقول) ان تعريب ἱδρωτήριον هو أذرُطير لا أذروطس . امَّا ἱδρῶτας فاصلح . وهو مفعول الجمع (accusatif) من المفرد ἱδρώς,ῶτος معناهُ العرَق . وربَّما استعمل اليونان المحدثون لفظ المفعول به بدلًا عن الفاعل . فبقي اثر ذلك في ختام الكلمة بالعربية (وس) فلولا التسليم بقولنا لما بان معنى هذا الختام

وقال حضرتهُ : ٤ «والمؤلف لم يوافق الجواليقي في ان عمروسًا معرَّب عن الرومية بل وأرى من المستحسن ان يُتَّبع في رأيهِ اذ هو معرَّب عن ἀμνός امنوس او عمنوس لان ابدال الهمزة بالعين كثير في العربية وبالاخص في المعربات اذ يقولون عوليس في أوليس وعربونًا في اربون ونحو ذلك كثير عندهم . وابدال النون بالراء كثير ايضًا في العربية كما ذكر المؤلف نفسهُ في كتاب الالفاظ الافرنجية المأخوذة عن العرب في الصفحة XVIII اذ ذكر طنطورًا وطرطورًا واركيلة وانكيرة . اما أُمَّ فهو عمروس بحذف علامة الاعراب الاعجمية وهي (وس) وارجاع العين الى اصلها المهموز . امَّا اذا كانت هاتان اللفظتان موجودتين عند السريان فمأخوذتان عن العرب او عن اليونان انفسهم بالطريقة التي ذكرناها اذ ليس في اللغات السامية شيء في اصول اللفظة يؤيد معنى الكلمة هذا»

(نقول) اننا اذا اعتبرنا قلب الحروف في هذا الاشتقاق لا مانع ان نقول ان «عمروسًا» من اليونانية ἀμνός . ولكن ليس هذا بكافٍ . فانّ اللغوي اذا اراد بيان اصل

١) راجع الكتاب السابق ذكرهُ ص ١٦٣

كلمات اعجمية فضلًا عن شرح إمكان التعريب بدل الحروف يقتضيهِ ايضاً عدّة علوم كمعرفة تاريخ الشعب الذي دخلت عندهُ هذه الالفاظ وما دار بينهُ وبين مجاوريهِ من العلائق فانَّ ذلك كثيرًا ما يكشف القناع عن الالفاظ المعرَّبة واصلها

فمن ثمَّ ترى كثيرًا من الالفاظ المعرَّبة الدالّة على الطبّ والنبات والمعادن والمتاجرات والصنائع لا يمكن فهمها ومعرفة اصلها تمامًا سوى بالاطّلاع على تاريخ الشعوب الذين امتزج بهم العرب فاخذوا عنهم نصيباً من فنونهم كاليونان والفرس. ولكن ليس الامر كذلك في الالفاظ الدالّة على ما أَلِفهُ العرب فلا حاجة للالتجاء الى اليونان. فان مثل هذه المفردات الاصحُّ ان يُطلب اصلها في اللغة العربية او في احدى اللغات الساميَّة اخواتها. فالعُمْرُوس مثلًا الخُرُوف ولا يجهل احد انَّ المواشي وما يختصّ بها عريقة في القِدَم بين العرب. فالاولى اذًا شرحها بلفظة مناسبة في اللغات المجاورة اذ لا يمكن ردّها الى اصل عربيّ. . . ونجد في السريانية أَمْرًا (ܐܡܪܐ) بمعنى الحَمَل بتغيير الهمزة عيناً وكلاهما من حروف الحلق. والدليل على ذلك انَّ ܥܡܪܐ بالسريانية و צמר بالعبرانية معناهما واحد يراد بهما الصوف. واما آخر لفظة العُمْرُوس فهو ايضاً من السريانية فان السريان يبنون تصغير الكلمة بابدال ألف الاطلاق بحرفَيْ (ܘܢܐ) فنقول من ܐܡܪܐ ܐܡܪܘܢܐ اي حرف صغير

ولعلَّ الجواليقي باشتقاقهِ لفظة عُمْرُوس من اليونانية خُدع بجناسها المشابه لاواخر الالفاظ اليونانية

وقال الاب انستاس وفي اشتقاقهِ للفظة البَلَم ما لم يكن الجزم بصحَّتهِ:

٥ً «في العدد ٥٣٤ من كتابهِ: البَلَم صغار السمك واحدتها بَلَمة. وذكر في الحاشية: «ومن جهة اصلهِ فانهُ قريب πηλαμύς وهو سمك يُعرف بالتُّنّ ليس بصغير (thon). وفي قاموسٍ انهُ سمك الكراكي (brochet) وهذا سمك طولهُ بين متر ونصف مترٍ» انتهى. اقول: اذا كانت كلمة بلم قريبة لفظاً من πηλαμύς فهي بعيدة عنهُ معنى بُعدَ الثرى من الثريّا واظنُّها معربة βέλενος وهو بمعناها»

وقال ايضاً: ٦ً «وذكر بندًا معرَّبًا فارسيًا. اقول ويقرب من Band الالمانية زنةً ومعنًى»

(اقول) قد اشتقَّ حضرة الاب انستاس لفظة «بَنْد» من اللغة الالمانية «Band» لكنَّني افضّل الاصل الفارسيّ للسبب المذكور آنفًا. لانَّ العرب عاشوا بجوار الفرس زمنًا

طويلًا قبل ظهور الالمان. واللفظة قديمة وردت في شعر الجاهلية. وجاء في تاريخ المؤرخ اليوناني مَالَالا عن بعض قوّاد الفرس ما نصّهُ ἔχων ῥαβδὸν βασιλικόν

ثم قال: ٧ً «وكذلك دِرفس تعرّب من drappus بمعنى الجوخ وملاءة الفراش»

(نقول) في هذا الاشتقاق انهُ صحيح اذا لُوحظ مخرجُ الحروف ونقلُها الى العربية. ولكن هذا لايكفي كما قلنا سابقًا بل ينبغي لبيان صحّتهِ ان يبيّن الكاتب الاديب ان لفظة drappus يُراد بها العَلَم عند الرومان وعلى اي طريقة اتخذها العرب منهم. وفي كلا الامرين نظر

وقال ايضًا ٨ً: «ولم يتعرَّض لذكرِ كثيرٍ من الالفاظ الاعجمية الغير اليونانية او الغير الرومية من مثل بلخش فهي مقطوعة ومصحّفة عن بذخشان حيث يكثر هذا الحجر في هذه البلاد الفارسية. وتُبّان فارسية وجست كذلك. والدَوَشق بمعنى الجَوسَق معرب كوشك الفارسية. ومن الفاظ هذه اللغة ايضًا التي لم يتعرَّض لذكرِ اصلها: السراويل والاترج ونحوهما بل ولم يتعرَّض لذكر كثيرٍ من الالفاظ الاعجمية اليونانية او الرومية نفسها من مثل جُند باختلاف معانيها من: جمع، مُعَدّ لحرب وعسكر واعوان ومدينة وصنف من الخَلق فهي معربة كلمة: gens, tis بهذه المعاني كلها»

قد تعجَّب حضرة المراسل الفاضل اني لم اذكر في الفروق الفاظًا كثيرة يونانية او لاتينية الاصل كجُند مثلًا فان اصلها على رأيه من اللاتينية gens, gentis. (فاقول) انَّ كتاب الفروق ليس هو كتابًا شاملًا لاصول كل المفردات العربية كما هو ظاهر. وبخصوص لفظة جُند الأنسب اشتقاقها من السريانية ܓܘܕܐ معناها الجمع والجيش بسقوط النون الاصلية وتشديد الدال. وهو الرأي الشائع بين العلماء اللغويين كُوادليك وغيره

ودونك قول الاب المحترم انستاس في اصول الفاظ اُخر. واننا نستحسن قولهُ اللهمَّ الّا ما ذكرهُ عن اللفظة الاولى «زون» فنشكُّ في اصلها المزعوم:

«وزُون بمعنى صنم معرَّب ܨܠܡܐ بمعنى جسدٍ او انسانٍ او شخصٍ وبعض الاحيان بمعنى جُثة ونقلها الى معنى الصنم واضح. وسَلْجَم فاظنها معربة عن salgama الرومية وهو كل ما رُبّي من الاثمار والفواكه بالملح والماء. وعندنا في بغداد ان ما يُربَّى هذه التربية هو السَّلْجم. والبعض يقول عندنا شَلْغَمًا وشلجمًا بمعنى اللفت navet لا بمعنى الفجل اللِفتي الذي يسميه البعض عندنا بالفجل الشاميّ rave او الفجل الطويل كما توهَّمهُ المؤلف. فان السلجم واللفت

شيء واحد. وقد سمّى ابن البيطار النجيل الشامي كما نسمّيه نحن وزاد على ذلك اسماً آخر وهو النجيل المُرَوَّس بمعنى المرؤوس. اما كيف نُقل الوصف الى الاسمية فهذا كثير الاشباه عند العرب وبالاخص اسماء الاثمار فالفندق من nux pontica والمقدونس من (Macedonius) le persil de Macédoine والفِرْسِق من (malum *persicum*) والفُسْتُق من pistacium ونحو ذلك مما يُعدّ بالمئات ومما هو مذكور في كتب علم النبات »

وفي ما كتب الاب انستاس بعدئذٍ فوائد ننقلها هنا بالحرف:

٩ « ان المؤلف عند ذكرهِ الالفاظ الافرنجية لبعض اسماء الحجارة الكريمة العربية اورد لها ألفاظاً غير المعهودة عندنا واظنّها صحيحة لاني قد تحققت اكثر من مرة بل وثبتَ لديّ ان اهل بغداد كثيرو الالفاظ الاصطلاحية وهي الفاظ اخذت من ايام الخلفاء وحافظوا عليها. وسوف آتي على ذكر كثيرٍ منها في أعداد المشرق لحسر اللثام عن وجه كثير من المبهمات العربية المذكورة في كتب متن اللغة بلفظة جنسيَّة عمومية لا يُمكن الوقوف على مدلولها كقولهم طائر ودويبة وسمكة ونبات وحيوان ودواء ونحو ذلك مما يبعث النفس الى السآمة والضجر. اما ألفاظ الحجارة فقد قابلتها بما كتب الافرنج في هذا الصدد فكانت صحيحة. منها ان صاحب الفروق ذكر لاسم الياقوت corindon, saphir والاحسن ان يفرق بين الالفاظ باوصافها لان الياقوت هو hyacinthe وهو الياقوت البرتقاني عندنا. اما مطلقاً فهو corindon والياقوت الازرق saphir والياقوت الاحمر rubis والاصفر topaze والياقوت الاخضر corindon vert او émeraude orien-tale. وقد جاء الياقوت بالعربية بمعنى الحجر الكريم مطلقاً والعقيق هو agate. اما amé-thyste فهي الجمست او الجمشت او المشرق او الاسمانجوني. واما cornaline هو اليَنع »

ثم بعد هذه النبذة الحسنة في تعريف اصول الحجارة الكريمة اردف حضرة الاب انستاس قوله مواصلاً للاحظاتهِ اللغويَّة:

١٠ « وقال: ان قنداقاً بمعنى كتاب التقديس وقطعة من الصلوة منظومة مشتقة من κοντάκιον. وهو بعيد عن المعنى واني ارى بانهُ مشتق من canticum »

(نقول) ان الالفاظ المعرّبة المأخوذة من اللاتينية بدون لغة اخرى متوسطة لنادرة

جدًا والغالب فيها وصولها الى العرب على يد السريان. فانّ القنداق مثلًا الذي زعم حضرة المراسل الفاضل انهُ من اللاتينية أُخذ من السريانية ܩܘܢܕܩܐ التي نُقلت من اليونانية Κοντάκιον (راجع المعجم السريانيّ اللاتيني للاب برون ص ٥٨١) . هذا وقد وردت اللفظة اليونانية على صورة Κονδάκιον بالدال (١. وربّما وجدت في الالفاظ المعرّبة عن اللاتينية اليونانية بدل التاء دالًا مثل مِنديل من pontica بُندُق mantile الخ. وكذا في السريانية نحو ܝܩܘܢܬܐ من ὑάκινθος

وقد نوافق مكاتبنا المحترم بقولهِ : ١١ً « ولفظة قسيس ليست يونانية الاصل من πρεσβύτερος لكنها من كلمة سريانية ܩܫܝܫܐ معناها الشيخ

ثم قال حضرتهُ: ١٢ً « وذكر ان القُسطناس يوناني معرّب κόστον وبالرومية costum فلم نجد هاتين الكلمتين في المعاجم التي بيدنا وعلى كلٍ فإن وُجدتْ في هوراس الشاعر اللاتيني فلا اظنّ ان العرب اخذوا كلمةً لم تكن معروفةً الّا من هوراس او من نفرٍ من الروم. فانّ من شرط الاخذ شيوع الكلمة بين اصحابها على الاقلّ لكننا وجدنا κοντός و contus بمعنى العصا الطويلة والمرديّ. فهل بين اللفظين تقارب ذلك نُحكِم بهِ المتولّعين بهذا الفن من علم اللغة »

(نقول) انّ لفظة κόστον ليست من المفردات الغريبة كما ظنّ حضرة مكاتبنا اذ دُويت في المعجمات التي يتداولها تلامذة المدارس. ولا نجهل انّ في تعيين هذا الاصل لمشكِلًا اذا لا يُبيّن ختام اللفظة العربية بحرفَيْ (اس). اما الكلمة التي فضّلها الاب انستاس فانّنا لا نرى بين معناها ومعنى اللفظ العربيّ موافقة كافيةً

وقال حفظهُ الله: ١٣ً « ولم يذكر انّ القميص معرّب camisia وهي رومية مولّدة. ولا القنطرة التي هي معرّبة عن cantherius او canterius وهي العارضة القائمة وسببُ التسمية ظاهر »

(نقول) أنّنا نسلّم باصل القميص. وقد اجاد ايضًا الكاتب المدقّق بتعيين اصل القنطرة وكان كثير من العلماء سعوا في تبيان اصلها مع علمهم انّ اصلها من الرومية

---

١) راجع فرنكل Aram. Fremdwörer, p. 285 – راجع ايضًا كتاب : Clugnet *Dictionniare des noms liturgiques de l'Eglise grecque., p: 86*

اللاتينية فلم يتعدوا الى ذلك تماماً (١. ولفظة cantherius او canterius تطابق معنى القنطرة يراد بها في الهندسة الخشبة المنحدرة من سقف البيت الى اصل العقد

وقال حضرة الكاتب الاديب في شرح اصلَي شُرْط وكردوسة:

١٤ً « وقال ان الكردوسة معرَّبة عن cohors. ومن المحتمل ان يكون الشُّرَط معربة عنها ايضاً. وفي كل ذلك تَمَحُّل ظاهر. أفلا يمكن ان يُقال ان الكردوسة منحوتة من الكرّ والدوس. والشُّرَط من أنهم اشترطوا على انفسهم اقتحام الموت. واستعمال النحت والاطلاق معروفان عند العرب »

(نقول) ان الالفاظ العربية المنحوتة من كلمتين عربيتين من النوادر وما ذُكر منها كالمَاوَرْد والماكافور (ورد في كتاب ابن خرداذبه) يُعدّ من الشواذ لا يجوز الالتجاء اليها لشرح اصل الالفاظ الّا اذا بان الامر بياناً جلياً. امّا اشتقاق « الشُّرَط » من الاشتراط فكان سبق اليهِ ابن دريد في كتاب الاشتقاق. ووافقهُ عليهِ غيرهُ بعدهُ. لكنّنا نرى ان الركون الى الاصول العربية في مثل هذه الالفاظ عبثٌ. وللقدماء في ذلك غرائب كما اشتقّ السيوطي الخَنْدَريس من « خِدْر العروس » . قال : لانَّ الخمر محجوبة في الدَنّ كالعروس في الخِدْر (راجع تهذيب الالفاظ لابن السكّيت ص ٧٦٠) . وكما اشتقّ آخر القَصْر تعريب castrum من فعل قَصَرَ وابليس تعريب διάβολος من أَبْلَس الخ

ونخصّ الشكر لحضرة الاب انستاس بما زاد قائلاً:

١٥ً « وقال ان الجّ هو حبّ العدس. والاصحّ أنهُ حبّ الماش وهو كحبّ العدس »

١٦ً « وهناك بعض ألفاظ وقع التصحيف فيها كالرُّق بدل الرقّ وهو ضرب من السلحفاة. والماذن بدل المازن ولم اتعرّض لذكرها لاني لم اقصد بهذه الاسطر الّا التنبيه عن بعض الالفاظ الاعجمية. والسلام »

(نقول) يمكن القرّاء ان يستدلّوا بمّا تقدَّم ما في اشتقاق المعرَّبات من الخطارة والاهمية وكم هي الطريقة لذلك وعرةً. ولا بُدَّ من انتظار سنين عديدة قبل ان يتحفنا العلماء بقاموس يشتمل على جميع الالفاظ المعرّبة مع بيان اصلها. وممّا يسهل هذا الشغل مساعي بعض الافاضل من ذوي التنقيب والبحث كحضرة الاب انستاس الذي نشكر لهمّتهِ في ذلك ونودّ لو واصل ابحاثهُ المفيدة في هذا الصدد وعند الله جزاء المحسنين

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما سبق)

١١

قد أُصيبت بموت ابن العبري العلوم والآداب بين اليعاقبة بضربةٍ قاضية فلا تكاد تجد بعدهُ كاتباً يُذكر فاضحت مذ ذاك هذه الطائفة اشبه بشجرةٍ ذوت اغصانها ونضب ماء حياتها فلم يُجتَنَ منها ثمر طيّب وهي لا تزال الى يومنا في انحطاط وتقهقُر اعاد لها الله محيي الرِمَم نضارتها الاولى برجوع رؤسائها الى وحدة الايمان

امّا تآليف هذا الملفان الجليل فانها على الحقيقة عبارةٌ عن معارف البشر جماء في القرن الثالث عشر وان سرّحت الطرف في جدول اسامي كتبهِ فقط يأخذ منك الاندهال ولا تتماسك عن الاقرار بقدر فضلهِ وسعة علمهِ وتفنّنهِ في كل اصناف الآداب. وان توغّلتَ في تصفُّح هذه التآليف وفحصها فردًا فردًا زاد منك العجب وقضيت لهُ بالسبق على كلّ معاصريهِ من الشرقيين دون استثناء. امّا اذا قابلت بينهُ وبين العقول السامية التي برزت في الغرب في ذلك العصر وجدتَ ابن العبري جاريًا في مضمار الفحول لم يسبقهُ غير رجلين يُعدَّان بسموّ مداركهما كغرّتي دهرهما اعني المعلّم الملاكيّ شمس المدارس القديس توما الاكويني والمعلّم السرافيّ القديس بُونَوَنتورة. هذا وانّ ابن العبري قد فاقهما بعدّة علوم لم يصنّفا فيها شيئًا كالطبّ والهيئة والتاريخ واللغة والآداب الدنيويّة. لابن الفرج الملطيّ في كل ذلك تآليف تستوجب الاعتبار كما سترى

وما يزيد ابن العبري شرفًا انّ تآليفهُ اضحت في الشرق بعدهُ كدستور يُرجَع اليهِ. ومورد يستقي منهُ كلُّ من اراد ان يتخرَّج بعلوم الاقدمين. والدليل على ذلك انّنا رأينا في غضون سفرنا الحديث اغلب تآليفهِ في ايدي الادباء من كلّ طوائف الشرق على اختلاف مللهم يتداولونها ويستنسخونها لاحراز فوائدها. وقد بلغ كلَف سيادة ايليا ميلوس رئيس اساقفة ماردين الجزيل الاحترام بهذه المصنّفات الى ان نقل منها بيده ما ينيف على عشرين مجلدًا ضخمًا يحفظها بمزيد الحرص في خزانة كتب كنيستهِ الغنيَّة بالتآليف الكلدانية القديمة

هذا وتيسيرًا للاطّلاع على اعمال صاحب الترجمة احببنا ان نسرد في ما بقي من مقالتنا جدولًا لتصانيفهِ نقسمهُ الى ابوابٍ على مقتضى المواضيع التي كتب فيها ونُلحق كل تصنيف بما نراهُ حريًا بالاعتبار

١ الكتب الدينيّة

(تفسير الكتابِ المقدّس) لابن العبري في شرح الاسفار الالهيـة كتاب يُعدّ من انفس ما وُضع في هذه المادّة. ألّفهُ صاحبهُ بالسريانية باسم ܐܘܨܪ ܐܪ̈ܙܐ ثمّ عُرّب بعده بقليل فوُسِم باسم كنز الاسرار. ومن كليهما نُسَخ في خزائن كتب اوربة الخطّية. وهذا التأليف الجزء ابن العبري قبل وفاتهِ بنحو عشر سنوات اهتمّ فيهِ اهتمامًا عظيمًا وهو يحتوي على نصّ الاسفار المقدّسة على حسب الترجمة المعروفة بالبسيطة (ܦܫܝܛܬܐ) مع ذكر ما يوجد بينها وبين النُسخ القديمة من الروايات المختلفة لاسيَّما الترجمات العبرانية والسامريّة والسبعينية وترجمتَي اكويلا وسيماكوس وروايات اوريجانس. وقد شرح من متن الكتب الالهية ما رآهُ مُغلقًا عويصًا وربَّما استند في شروحهِ على تعاليم الآباء الاوَّلين من اليونان والسريان وشروح من سبقهُ من اهل ملّتهِ كموسى بركيفا وديونيسيوس برصليبي وجرجس اسقف العرب وغيرهم. ولو لم يكن لابن العبري غير هذا الاثر الجليل لكفى لتخليد اسمهِ. وقد طُبع من هذا المجموع الشريف اقسام عديدة تكاد اذا جُمعت تستوفي اكثر من ثلثي الاسفار الالهية فقد نشر بالطبع الدكتور شرُوتر (Schröter) فصولًا من سفر التكوين والخروج وتثنية الاشتراع. وطبع سنة ١٨٩٥ الدكتور كِربر (Kerber) شروح ابي الفرج على كتاب اللاويين. وطبع الدكتور كِروس (Kraus) شرح كتابَي يوشع بن نون والقُضاة سنة ١٨٨٤. وطبع قبلهُ الدكتور برنستين (Bernstein) شرح سفر أيوب. امَّا شرح اسفار سليمان الحكيم (الامثال والجامعة والحكمة) فقد نشرها سنة ١٨٨٧ الدكتور رالفس (Rahlfs) وطبع شرح راعوت الدكتور هپنر (Heppner) سنة ١٨٨٨. وشرح سفرَي الملوك الاوَّل والثاني الدكتور مرغنشترن (Morgenstern). ونشر الدكتور شروتر المذكور وغيرهُ قسمًا من شرح المزامير. والدكتور تلبرغ (Tullberg) ابرز شرحهُ على اشعيا النبي. والدكتور فريمان (Freimann) على نبوءة دانيال. وكوران (Koraen) على ارميا. والدكتور كاتس (Kaatz) على سفر ابن سيراخ. امَّا اسفار العهد الجديد فقد طبع منها الدكتور سپانوث (Spanuth) شرح انجيل متى. والدكتور ستينهرت

(Steinhart) شرح انجيل لوقا سنة ١٨٩٦ . والدكتور شوارتز (Schwartz) شرح انجيل يوحنا . والدكتور كلامروث (Klamroth) شرح اعمال الرسل والرسائل المعروفة بالكاثوليكية . والدكتور لوهر (Lochr) شرح رسائل الإناء المصطفى . ويا حبذا لو جمعت هذه الطبعات المتفردة فنشرت في كتاب واحد يجتني من فوائده دارسو الكتاب المقدس . وكان الدكتور لرسوف (Larsow) باشر هذا العمل فلم يتمه •

(الكتب اللاهوتية) قد صنف ابن العبري في هذا الباب كتابًا خطيرًا بالسريانية اسمه ܡܢܪܬ ܩܘܕܫܐ اي منارة الاقداس ترجمه الى العربية احد ادباء اليعاقبة المعاصرين لابن العبري اسمه دانيال بن الخطاب . وعربه ايضًا بعده الشماس سركيس بن يوحنا الدمشقي الزرباني وفي خزانة كتبنا الشرقية منه نسخة نقلت عن اصله الموجود في دير السريان بالشرفة . وهذا الكتاب جليل في معناه قد قسمه صاحبه جزاه الله خيرًا اثني عشر ركنًا هذه اسماؤها : ١ بيان العلم المطلق ٢ في العالم وتكوينه ٣ في الثالوث الاقدس ٤ في التجسد ٥ في الملائكة ٦ في رئاسة الكهنوت ٧ في الشياطين ٨ في النفس الناطقة ٩ في الحرية البشرية والعناية الالهية ١٠ في قيامة الاموات ١١ في الدينونة والعقاب ١٢ في الفردوس . وكل هذه الاركان تتفرع الى فصول عديدة . وتنقسم الفصول الى مقاصد . وتتجزأ المقاصد الى دلائل وشواهد . اودعها صاحبها كلها مباحث جليلة يثبتها عقلًا ونقلًا . وقد طبع الدكتور غوتيل (Gottheil) من هذا التأليف فصلين في النبات وخواصه وفي رسم الارض . وهو من الكتب المهمة التي تستحق ان تنشر لفوائدها الجمة ونأسف على ان ضيق المكان لا يسمح لنا بتفصيل ما تضمنه هذا الكتاب من الابحاث النافعة

ولابي الفرج كتاب آخر لاهوتي يدعى بالسريانية ܟܬܒܐ ܕܙܠܝܓܐ (كتاب الاشعة) يقسم الى عشرة اقسام قد اختصر فيه كثيرًا من المطالب النظرية التي وردت في التأليف المذكور آنفًا وتصدى لمباحث أخرى قليلة في الاعتقادات الكنسية

ويسوغ لنا ان نلحق بهذا الباب رسالة سريانية لابن العبري تدعى « دستور الايمان » ضمنها معتقد اليعاقبة في زمانه

وكذلك رسالته الى الجاثليق النسطوري الذي مر ذكرها سابقًا (ص ٤١٥)

(كتب الآداب البيعية) من تصانيف ابن العبري في هذا الباب كتابان جزيلا

المنافع احدهما موسوم بكتاب الهدايات (ܟܬܒܐ ܕܗܘܕܝܐ) وهو مجموع القوانين البيعية والرسوم المدنية التي تستند اليها كنيسة السريان الغربيين . مأخوذة من اعمال المجامع البيعيّة والاحكام الملكية منذ قرون النصرانية الاولى الى زمن المؤلف . وهذا الكتاب لليعاقبة بمثابة كتاب عبد يشوع الصوباوي المدعو مجموع القوانين (ܟܘܢܫܐ ܕܩܢܘܢܐ) للنساطرة . وهو يقسم الى قسمين يُبحث في الاوّل عمّا يختصّ بامور البيعة والثاني مدارهُ على احوال المؤمنين العالميّن . وابواب الكتاب اربعون بابًا تتفرّع الى فصول شتّى . وهذا التأليف قد عرّبهُ في ايام ابي الفرج دانيال بن الخطّاب المومأ اليه . ومنهُ نسخةٌ خطّية في مكتبة آل ميديسيس في رومة العظمى . وقد ترجمهُ الى اللاتينية العلّامة المنسنيور يوسف السمعاني الطائر الشهرة فطُبعت ترجمتهُ في عصرنا تولّى طبعها الكردينال ماي (Mai : *Script. Vet. Nova Collectio*, X)

والكتاب الآخر ليس بانقص شأنًا من الاوّل وهو كتاب الايثيقون (ܟܬܒܐ ܕܐܝܬܝܩܘܢ) اي في الآداب وتهذيب الاخلاق لدينا منهُ نسخة معرَّبة نقلناها عن الاصل المصون في دير السيدة بالشرفة وهو مكتوب سنة ٢٠١٠ للاسكندر (١٦٩٨ م) . ولعلّ هذه الترجمة هي لابن الخطّاب معرّب كتاب الهدايات ومن تعريبهِ نسخة في المكتبة الفاتيكانية . وفيها للقس يوحنا بن جرير الشامي تعريب آخر كُتب سنة ١٦٤٥ . وهذا الكتاب يقسم الى اربع مقالات تحتوي ثلاثة واربعين بابًا تشتمل ما ينيف على ثلاثمائة وثلاثين فصلًا اسهب فيها القول عن الفضائل الدينيـة والاخلاق الادبية ممّا يُقتضى على الانسان لاسيّما النصرانيّ وخصوصًا الراهب ان يتّصف بهِ وقد استشهد في معرض كتابهِ بالآباء ومعلمي السيرة الروحية . ومن منافع هذا الكتاب معرفة العوائد التي كان يجري عليها نصارى المشرق في زمن ابن العبري

ولابي الفرج ايضًا في التعاليم الروحية كتاب صغير دعاهُ (ܟܬܒܐ ܕܝܘܢܐ) اي كتاب الحمامة منهُ نسخة معرّبة في خزانة كتبنا الشرقية . غاية المؤلف بوضعهِ لهُ ان ينهج للنسّاك طريقًا لحياة الروحية فيستغنوا بمطالعتهِ عن المرشدين . وهو اربعة ابواب الباب الاوّل في التعبُّد البدني . الثاني في العبادة النفسانية . الثالث في الراحة الروحانية التي للكاملين . وكلّ من هذه الابواب يقسم الى عشرة فصول . امّا الباب الاخير فقد اودعهُ ابن العبري مئة نصيحة تفيد الحياة الروحيّة

(كتب الطقوس) يحقّ ان نذكر من هذا القبيل نافورًا وضعهُ ابن العبري كرُتبة للقداس نقلهُ رينودوت الشهير الى اللاتينية فطبعهُ في مجموع ليترجيّات المشرق (Renaudotii, *Liturgiarum Orient. Collectio*, II, 456)

وفي هذا الباب يدخل تهذيبهُ للنافور المعروف بالكنيسة السريانية بنافور القديس يعقوب الرسول الملقَّب باخي الربّ طبعهُ رينودوت في كتابهِ المذكور (الجزء الثاني ص ١٢٦) وقد هذَّب ايضًا ابن العبري كتاب رتبة المعمودية لساويرس اوّل بطاركة اليعاقبة

(ستأتي البقية)

التنوير

للاب موريس كولنجت اليسوعي مدرّس الطبيعيات في المكتب الطبي

(تابع لما سبق)

٤

في غاز الفحم الحجري

سبق لنا القول في أدوات التنوير الجامدة والمائعة (ص ٤٥٠) ومدار كلامنا اليوم على الغاز المُستخلَص من الفحم الحجري (gaz de Houille)

لا يجهلُ الناس منذ زمن قديم ان الفحم المعدنيّ يتصاعد منهُ أبخرة تُدعى غازات قابلة الالتهاب. وربَّما كانت هذه الابخرة كثيفة جدًّا في بعض الامكنة حتَّى اذا غُرز في الارض انبوبٌ مثقوبُ الطرفين وأُدنيَ من الطرف الاعلى لهيبُ نار سطع منهُ نورٌ يمكن الاستصباح بهِ والاستدفاء بحرارته

وانَّما اليوم يُستخرج الغاز بتقطير الفحم الحجري على اليُبس. فالفرق بين موادّ الوقود الموصوفة سابقًا والغاز الحجري الذي نحن في صددهِ أنَّ في الشمع والزيت والبترول يتحلَّل الغاز بواسطة الحرارة الناتجة عن اتّقاد جسم جامد او جسم مائع. امَّا الغاز الحجري فكيفية استعمالهِ بأنْ يُجمع ما يُجَرّ منهُ بالتقطير في المعامل الخاصَّة ويُصمد في اساطين ضخمة اوقرَع واسعة ثم يوزَّع على الزُّبُن والمشترين بهيئة بُخار يجري الى بيوت الخواصّ في انابيب (قساطل) ممدودة تحت الارض

ومعدّل ما يُستخلص من الغاز من مائة كيلوغرام فحم معدني يبلغ نحو ثلاثة وعشرين الى ثلاثة وثلاثين متر مكعَّب على اختلاف جودة الفحم وغناهُ بالمواد الملتهبة. ويتركَّب هذا الغاز في الغالب من مزيج الهيدروجين مع كربورات الهيدروجين ليس الَّا

هذا وانَّ بتقطير الفحم المعدني لا يُنال فقط غاز الوَقُود المذكور آنفًا بل يُظفر ايضاً على عدّة محصولات ثانويَّة. واول ذلك مادَّة ترسب في قعر الانبيق تدعى كوك (coke) تُعَدّ من افضل اصناف المُوقَدات. ويحصل في الاوعية المختلفة التي يمرُّ بها الغاز ليُصفَّى مياهُ النوشادر وهي تصلح للتسميد في الزراعة. ويتكوَّن فيها القطران. والقطران اذا قُطِّر اتى بالغاز الصناعي (brai) والبَنزين والحامض الفنيقي والأنيلين والنَّفطلين والأنتراسين الى غير ذلك من محصولات القطران المتخذة في الصناعة لتركيب الالوان. فيظهر ممَّا تقدم ان تهيئة الغاز كثيرة الارباح لاجل هذه الفوائد الثانويَّة الناتجة عنهُ

والغاز المصفَّى يُخزَّن نهارًا في اوعية واسعة على شكل اجراس تنغطس في احواض مملوءة من الماء فيوزَّع من ثمَّ على الجمهور بضغطٍ معلوم. واذا ما دخل الغاز في بيوت الخواص اجتاز في اداةٍ تُدعى راقمًا تُدوّن بالتدقيق كم مرَّ فيها من متر مكعَّب واقسام المتر فيُعرف بذلك ما يجب على المشتري دفعه لصاحب الغاز سواء كان اتخاذهُ للاستصباح او للاصطلاء او للطبخ

هذا وانَّ رؤوس الانابيب التي يُشعل بها الغاز تكون معدنيَّة او من الخزف الصيني او من الستياتيت وهو صنف من الطَّلق (talk) المعدني المركَّب من الصوَّان والمغنيسيا. ومجاز الغاز هو امَّا ثقبٌ بسيط وامَّا شقّ ويسمَّى لشكلهِ الرأسَ الفَراشي (bec papillon). وربَّما انتهى المخرج بعدَّة ثُقوب مستديرة على شكل الاكليل في مركزها مجرًى للهواء. وهي الرؤوس المعروفة ببَنجل (bec Bengel) يكثر استعمالها في الغُرَف ويجهَّز لذلك مداخن من الزجاج. وما عدا هذه الرؤوس الساذجة الشكل يوجد مصابيح أُخر في تركيبها بعض ارتباك لكنَّها ساطعة النور فمن ذلك المصابيح



مصباح قِنهام

التي سبق وصفها في آخر مقالتنا عن البترول كمصباح سيمنس (Siemens) او مصباح ونهام (Wenham انظر شكلها في الصفحة السابقة) الخ . ففي هذه القناديل يُسخَّن اوَّلًا الهواء اللازم للاتّقاد في انابيب مجاورة للرأس . واللهيب فيها يسطع من تحت المصباح فاذا عُلّق القنديل لا يبقى لهُ ظلّ . وفي غيرها من المصابيح كمصباح دَنيروس (Denayrouse) مثلًا يُمزج سابقًا الهواء والغاز معًا فينتج من هذا الاختلاط تيارٍ واشتداد في سطوع اللهب

واعلم انَّ ضوء غاز الفحم المعدنيّ يضرب الى الحُمرة فان حُلَّ بالطيف الشمسيّ وُجدت هذه المناسبة بين احمراره وصفرته:

$$\frac{\text{الاحمر}}{\text{الاصفر}} = \frac{٦}{١}$$

واذا قستَ شدَّة سطوع نور الغاز وجدت انَّ معدَّلها في ما يُوقَد مدَّة ساعة من الغاز البالغ ١٠٥ ليترات يوازي مصباحًا من مصابيح كرسل المثاليَّة (راجع الصفحة ١٨٤) . الّا انَّ هذه الشدَّة تختلف على حسب اختلاف وسعة الثُقب . فانَّ الرأس الفراشيّ المذكور سابقًا ربّما بلغت شدَّة سطوعهِ الى ان توازي مصباحًا مثاليًا ونصف مصباحٍ او ثلاثة ارباع المصباح وذلك بايقاد ١٢٧ ليترًا الى ٢٠٠ ليتر . واقلُّ ما ينبعث ذلك من اقيسة الحرارة ٦٦٠ قياسًا (راجع الصفحة ٢٤٣) . امَّا الحامض الكربونيك الناتج عن هذا الاتّقاد فيبلغ ٨٤ ليترًا اي اكثر ممَّا يخرج من رئة اربعة اشخاص بالتنفُّس اليوميّ

واذا اعتبرتَ ثمن الغاز على ما هو الآن من السعر الشائع اعني ثلاثين سنتيمًا في حقّ متر مكعَّب وجدت انَّ ما وازى منهُ مصباح كرسل القياسي في الساعة يساوي اربعة سنتيمات . ثمَّ اعلم انَّ الرأس الفَراشيّ حسنٌ لتنوير العامَّة لكنهُ لا يصلح للدَّرس لترجرج لهيبهِ

وأصلح ما يتَّخذ لتنوير الحُجَر مصباح بَنجل فانَّ ضوءهُ يوازي مصباحًا مثاليًا في ١٠٥ ليترات . واقيسة حرارتهِ ٥٤٦ ينبعث منها ٧١ ليترًا من الحامض الكربونيك وثمنهُ ٣ سنتيمات في مقابلة مصباح مقياسي ذو ضوء الساعة . وقد وُضع لتنوير الجمهور مصابيح ذات رؤُوس مختلفة منها الرأس الباريزي (bec Parisien) والكرومارتي (Cromartie) والصناعي (l'Industriel) ولكلها شدَّة عظيمة في سطوعها تبلغ من خمسة مصابيح الى عشرين مصباحًا مثاليًا مع قلَّة ما يُفنَى بها من الغاز حتَّى لا يتجاوز ٣٥ ليترًا بمقابلة الكرسل ذي ضوء الساعة . فيكون ثمن الغاز في الساعة سنتيمًا او سنتيمًا ونصفًا فقط . وللمصابيح المسخَّنة

للهواء الموصوفة آنفاً كمصباح ونهام (Wenham) امهار ارخص ايضاً فانها لا تفني في الساعة اكثر من ٣٠ الى خمسين ليتراً من الغاز مع انَّ سطوع نورها يرتقي من خمسة مصابيح الى ١٢ مصباحاً مقياسياً تبلغ اقوة حرارتها ٢٠٠ قياساً وحامضها الكربونيك ٣٠ ليتراً ونتنها لا يكاد يبلغ سُدسيًّا في مقابلة مصباح كرسل ذي ضوء الساعة

ونتيجة ما سبق شرحهُ انَّ غاز الفحم المدني من احسن ادوات الاستصباح وانسبها مع هوادة اسعاره . فضلاً عن انَّهُ لا يحتاج الى فتيلة ولا الى تمديد يكفي لاستعماله برم مفتاح حنفيَّة فيسطع نوره . ومن مضارّه ارتفاع درجة الحرارة في معاهد الدروس

هذا وممَّا يجدر بالملاحظة انَّ امتزاج الغاز بالهواء يحصل منهُ مزيج قابل الانفجار وانَّهُ لأمرٌ خطر ان توقد ثقاب الكبريت في حجرة لم يُقفل مجرى غازها . ويمكن تلافي هذا الخطر باشتمام رائحة الغاز المنبعث فاذا حسَّ بهِ الداخل في المخدع فليفتح نوافذ الدار لتغيير الهواء قبل ان يشعل الضوء .

التشعشع بواسطة الغاز

لقد بلغ التنوير بالغاز في هذه السنين الاخيرة غايةً جاوزت آمال العلماء وكلُّ هذه التحسُّنات انَّما اصابها اربابُ الصنائع باستنادهم الى هذا المبدإ الذي مرجعهُ الى ان تُوقد المواد الهيدروجينيَّة الفحميَّة (substances hydrocarburées) الداخلة في تركيب الغاز ايقاداً تامَّاً فتُتخذ الحرارة العظيمة المتأتية من ذلك لإضرام بعض اجرام اوكسيديَّة تُمدُّ لهذه الغاية فيحصل منها تشعشعٌ (incandescence) إذا التهبت

وعليهِ قد أكثر بعضُ العلماء كادسُون ودرومُند وكلامُند اختباراتهم لنوال هذه الغاية فكانت نتيجتها ان بلغ الدكتور أور فون ڤلساخ (Auer von Welsbach) الى وضع غلافٍ دُعي باسمهِ يُجهَز برأس انبوب الغاز فيحصل من ذلك نورٌ بهيٌّ ساطع يقضي من نظرهِ العجب (انظر الصورة في ص ١٥٨)

وتركيب غلاف الدكتور أور من مزيج أوكسيدين اسمها الثوريوم (thorium) والسيريوم (cérium) يدخل من الاوَّل تسعة وتسعون قسماً بمقابلة قسم واحد من الثاني وهذان الاوكسيدان مما زكا تشعشع التوريد انهما عزيزا الوجود يُستخلصان في الغالب من ثلاثة معادن الثوريت والمونازيت والزيركون

فالثوريت (la thorite) جرمٌ مركَّب من مزيج الصوَّان والهيدروجين والاوكسيجين

فِيهَا غيرَ صَافِيَةِ ٱلصَّوْتِ مِنْ كَثَافَتِهِ وَٱلْتِفَافِهِ، وَبُرْعُمُ ٱلزَّهْرِ[١] أَكْمَامُهُ وجمعه ٱلْبَرَاعِيمُ وَأَكْمَامُهُ غُلُفُهُ، وَيُقَالُ عِنْدَ ذٰلِكَ: قَدْ أَخَذَ ٱلنَّبْتُ زَخَارِفَهُ وَزُخْرُفَهُ[٢] وَقَدْ أَتَى بِبَهْجَتِهِ، وَيُقَالُ اقْطَرَّ وَٱقْطَرَّ اقْطِرَارًا وَٱقْطَارَّ[٣] أَيْضًا إِذَا تَهَيَّأَ [ٱلنَّبْتُ] لِلْيُبْسِ، فَإِذَا يَبِسَ قِيلَ قَدْ تَصَوَّحَ تَصَوُّحًا وَٱنْصَاحَ أَنْصِيَاحًا[٤]، فَإِذَا تَمَّ يُبْسُهُ قِيلَ: قَدْ هَاجَتِ ٱلْأَرْضُ تَهِيجُ هِيَاجًا وَهَيْجًا اوهَيَجَانًا[٥]، فَإِذَا تَمَّ يُبْسُهُ مِنْ أَحْرَارِ ٱلْبُقُولِ وَذُكُورِهَا قِيلَ لَهُ ٱلْيَبْسُ وَٱلْيَبِيسُ، وَهُوَ ٱلْجَنِيفُ وَٱلْجُفُّ، وَٱلْقَفِيفُ وَٱلْقَفُّ[٦]. وَقَالَ ٱلرَّاجِزُ:

تَمَاتُ يَبِيساً وَتَقِيفاً تُلْهِمُهْ   وَثَرَّ عَامَيْنِ وَحِبّاً اَسْحَمُهْ (٧

وَقَالَ ٱلْآخَرُ:

كَأَنَّ صَوْتَ خِلْفِهَا وَٱلْخِلْفِ   كَشْخَفِ أَفْعَى فِي يَبِيسٍ قَفِّ (٨

---

١) جاء في الاصل: البُرغم وهو تصحيف. والبُرْعُم والبُرْعُوم والبُرْعُمة والبُرْعُومة كِمُّ ثمر الشجر

٢) الزُخرف زينة الارض. ومنهُ قولهُ: اذا اخذت الارض زُخْرُفَها اي زينتها بالنبات وقيل تمامها وكمالها

٣) ورد في اللسان: اقطارَّ النبتُ اي انثنى واعوجَّ ثمَّ هاج. وقيل أَقْطَرَّ النبتُ واقطارَّ ولَّى واخذ يَجِفُّ

٤) وفي الاصل: تَضَوَّجَ تَضَوُّجاً وأنضاج. وكلّهُ تصحيف. وقيل تصوَّح البقلُ اذا تمَّ يُبْسُهُ

٥) يقال هاج البقلُ فهو هائج وهَيْج اذا يبس واصفرَّ. وهاجت الارضُ فهي هائجة يَبِسَ بقلها

٦) نقل في اللسان عن الاصمعي: قفَّ العشبُ اذا اشتدَّ يُبْسُهُ

٧) وفي اللسان: تَلْهَمُهُ وهو الصواب. يصف بقرةً وحشيّةً اصابت كلأً ترعاهُ. والملاقاة هنا الملازمة. وقولهُ: (ثرَّ عامين) اي عشباً كثيراً مجموعاً من عامين. والحبُّ الاسحم المسودّ ليُبْسِهِ. وفي الاصل: اسجمهُ بالجيم. وهو غلط

٨) الخِلْف الضَّرع. يصف شاةً يقول انَّ صوت خلفَيْها عند اصطكاكهما كصوت افعى لمَّا تسير في يبيس الكلإ

(وَيُقَالُ سَحَفَتْ تَسْحَفُ إِذَا حَكَّتْ جِلْدَهَا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ) ، فَإِذَا أَصَابَ ٱلْمَطَرُ ٱلْكَلَأَ قِيلَ : كَلَأُ بَنِي فُلَانٍ مَغِيثٌ (يُرَادُ بِهِ مَغْيُوثٌ[1]) ، فَإِذَا تَكَسَّرَ ٱلْيَبِيسُ[2] فَهُوَ ٱلْحُطَامُ . وَهُوَ ٱلْهَشِيمُ[3] . قَالَ ٱبْنُ أَحْمَرَ :

يَتَبَّعُ أَوْضَاحًا بِسُرَّةِ يَذْبُلٍ ... وَيَرْعَى هَشِيمًا مِنْ مُلَيْحَةَ بَالِيًا[4]

(وَٱلْأَوْضَاحُ بَقَايَا ٱلْحَلِيِّ وَٱلصِّلِّيَانِ[5] لَا تَكُونُ[6] إِلَّا مِنْ ذٰلِكَ ، فَإِذَا كَثُرَ وَرَكِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا فَهُوَ ٱلثِّنُّ يُقَالُ فِي أَرْضِ بَنِي فُلَانٍ ثِنٌّ كَثِيرٌ يَكْفِيهِمْ سَنَتَهُمْ . (قال) وَٱلثِّنُّ يَبِيسُ ٱلْحَلِيِّ وَٱلْبُهْمَى . قَالَ ٱلرَّاجِزُ :

إِنْ يَنْمِي ٱلسَّاعُونَ لَا تَحْنِيِّ ... يَكْفِي ٱللَّبُونَ أَكْلُهُ مِنْ ثِنِّ[7]

وَقَالَ ٱلْحَنَفِيُّ :

كَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ أَصَابَ غِنًى ... وَٱحْتَلَّ بَعْدَ ٱلْجَدْبِ فِي ثِنِّ[8]

---

١) جاء في اللسان : الغيث الكلأ والمطر . وغِيثت الارضُ تُغاثُ غَيثًا فهي مَغيثة ومَغيوثة اصابها الغيثُ

٢) اي يبيسُ البقل

٣) الهشيم النبتُ اليابس المتكسّر

٤) يتبّع تخفيف يتتبّع . ومُلَيحة موضع . ورواية اللسان : « تَتَبَّعُ ... وترعى هشيمًا من حُلَيمَة » . (قال) حُلَيمَة على لفظ التحقير موضع . يصف الشاعر ابلًا يقول انها ترعى في هذه الاماكن . والاوضاح جمع وَضَح هو صغير الكلإ . وسُرَّة يذبُل افضل اماكنِه . ويذبل اسم جبل في الحجاز

٥) سيأتي ذكر الحليّ والصلّيان في الفصول التالية . وفي الاصل : الصليان وهو تصحيف

٦) في الاصل : لا يكونا

٧) اللَّبُون ممحبُّ اللبن . لعلّ الراجز يهجو امرأة فيقول لها انّهُ يستغني بكثرة مَن يحضر مأتمه عند وفاتهِ عن حنينها اي شدّة بكائها . وقد روى في اللسان عن ثعلب هذه الابيات للباهليّ :

يا ايها الفَصيلُ ذا المُعَنّي ... انَّك دَرْمانٌ فَصَمْتَ عَنّي

تَكفي اللقوحَ اكلَةٌ من ثِنِّ ... ولم تكن آثرَ عندي منّي

ولم تَقُمْ في المأتمِ المُرِنِّ

(قال) يقول إذا شرب الاضيافُ لبنها علقها الثنّ فعاد لبنُها . وصَمَتّ اي أسمنت

٨) ضرب الثنّ مثلًا للخصب وسعة العيش

وَكَذٰلِكَ يُقَالُ: أَرْضٌ مُوشِجَةٌ وَكَلَأٌ وَشِيجٌ بَيِّنُ ٱلوَشَاجَةِ إِذَا كَثُرَ كَلَأُهَا وَحِبَّتُهَا. وَمَا كَانَ مِنَ ٱلنَّبْتِ لَهُ حَبٌّ فَٱسْمُ ذٰلِكَ ٱلْحَبِّ ٱلْحِبَّةُ. يُقَالُ: ٱلْإِبِلُ فِي حِبَّةٍ مَا شَاءَتْ. قَالَ أَبُو ٱلنَّجْمِ:

فِي حِبَّةٍ جَرْفٍ وَحَمْضٍ هَيْكَلِ(١)

(ٱلْجَرْفُ ٱلْكَثِيرُ وَٱلْهَيْكَلُ ٱلضَّخْمُ)، فَإِذَا ٱسْوَدَّ ٱلنَّبْتُ مِنَ ٱلْقِدَمِ فَهُوَ ٱلدِّنْدِنُ(٢). وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ:

ٱلْمَالُ يَغْشَى رِجَالًا لَا طَبَاخَ بِهِمْ كَٱلسَّيْلِ يَغْشَى أُصُولَ ٱلدِّنْدِنِ ٱلْبَالِي(٣)

(وَيُرْوَى: لَا خَلَاقَ لَهُمْ. وَيُرْوَى: يَرْكَبُ أَصْلَ(٤))، فَإِذَا كَثُرَ ٱلْكَلَأُ وَكَثُفَ قِيلَ: أَصَارَتِ ٱلْأَرْضُ. وَلِأَرْضِ بَنِي فُلَانٍ صِيَرٌ إِذَا كَثُرَ ٱلْكَلَأُ فِيهَا، وَكُلُّ حُطَامِ شَجَرٍ وَأَحْرَارٍ مِنْ أَحْرَارِ ٱلْبَقْلِ وَمِنْ ذُكُورِهِ فَهُوَ ٱلدَّرِينُ إِذَا قَدُمَ وَكَثُرَ. قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ:

وَنَحْنُ ٱلْحَابِسُونَ بِذِي أَرَاطَى تَسَفُّ ٱلْجِلَّةُ ٱلْخُورُ ٱلدَّرِينَا(٥)

(تَسَفُّ ٱلدَّرِينَ لَا تَجِدُ غَيْرَهُ مَرْعًى)، وَيُقَالُ لِيَبِيسِ ٱلْبَقْلِ

---

١) ورد في اللسان في مادَّة حبٍّ: قال ابو زياد: اذا تكسَّر اليبيسُ وتُراكم فذلك الحِبَّةُ. رواهُ عنهُ ابو حنيفة (قال) وانشد قول ابي نجم يصف إبلَهُ:

تَبَقَّلَتْ من اوَّل التبقُّلِ في حِبَّةٍ جَرفٍ وحَمْضٍ هيكلِ

٢) وفي الاصل: الديدن. وهو تصحيف. وروى صاحب اللسان عن الاصمعي انَّ الدِّنْدن يحتمل ان يكون من الصوت ومن الدَّوران. وهو ما بَلِيَ فاسودَّ من النبات والشجر. وخصَّ به بعضهم حُطامَ البُهْمَى اذا اسودَّ وقدُم وقيل هي اصول الشجر البالي

٣) البيت لحسَّان بن ثابت. وقولهُ (لا طَبَاخ بهم) اي حمقى لا إدراك لهم

٤) هذه الرواية من غير الكتاب. ويروى: يغشى أُناساً

٥) البيت من معلَّقة ابن كلثوم. ذو أُراطى ويقال ذو أُراط ماء بقربهِ كانت موقعة تُعدُّ من ايَّام العرب. والجِلَّة المسانُّ من النوق. وفي الاصل: الحلَّة. وهو تصحيف. والخُور الغزيرة الالبان. يقول حبسنا ماشيتنا في هذا الموضع وطال مُكثنا فيهِ لاعانة قومنا حتَّى أُحوجت النوق الكثيرة اللبن الى اكل يبيس النبت

(هٰكَذَا قَالَ: ثُجَر بِضَمِّ ٱلثَّاء. وَٱلثَّجَرُ ٱلَّذِي قَدْ تَمَّ. قَالَ: (لَمْ) أَسْمَعْهُ إِلَّا هَا هُنَا وَٱلْعِضْرِسُ شَجَرٌ إِلَى ٱلسَّوَادِ. وَٱلْمُكْنَانُ مِنْ خَيْرِ ٱلنَّبْتِ. وَكَيْنَتْ لَزِجَتْ وَحَسُنَتْ جُحَافِلُهُ حَتَّى ٱسْتَبَانَ أَثَرُهُ فِيهَا) (ستأتي البقية)

في الروايات الخياليَّة

للاب ايدي لوريول اليسوعي

ان دخلت ايها القارئ اللبيب الى مُخدع بعض الخواص ممَّن عُرِفوا بين القوم بالوجاهة ونفوذ الكلمة لعلّك تلمح بين اثاث الدار المبنيّة على الثروة خزانةً نُضِدت فيها عدَّة كتب برسم المطالعة. تلك هي مكتبة العائلة

فان سرَّحت الطَّرف في هذه التآليف او تصفَّحت على الاقلّ اسماءها ربَّما لم تعثر على مصنّفات تاريخيَّة او ادبيَّة او علميَّة امَّا الروايات الخيالية فقلّما ترى هذه المكاتب خاليةً منها. ولعلّها في الغالب هي وحدها المجموعة فوق رفوفها. او اذا كانت كتب الروايات مختلطة بغيرها من التآليف فترى ما سواها حسن التجليد نظيف الورق كأنَّها لم تمسَّها بعدُ ايدي القرَّاء. بخلاف الروايات فانك تراها يعلوها الدَّرَن ممزَّقةً مخرَّقةً منتثرة الاوراق لتداول الايدي لها ولإقبال المطالعين عليها. فحسبك بذلك دليل على خطارة مسألة الروايات الخياليَّة

ويغلب على ظنّنا ان لهذه المطلب في الشرق اهميَّةً تختصُّ بهِ دون الغرب كما سنبيّن فالروايات عند اهلهِ فعلٌ عجيبٌ اذ تعمل هذه القصص المختلفة في قلوبهم عمل الراقي بسحرهِ فتفتنها وتخلب سويداءها وربّما اصبحوا اشبه بالفَراش المتهافت على السراج فيحترق بهِ او كالطير الذي يرى الحيَّة فيلقي بنفسهِ في لهواتها

فهذا ما حدانا الى البحث في الروايات الغربيَّة ليكون اهل بلادنا على بيّنة من امرهم ويأخذوا من مضارّها حذرهم

في اصل الروايات الخياليَّة وتاريخها

واوَّل ما يجيء هنا عنهُ البحث ما هو اصل الروايات الخيالية وتاريخها. الَّا انَّ في

تفصيل ذلك لمجالًا رحبًا لا يسعنا الخوض فيه وانّما نجتزئ بذكر بعض فوائد تُطلع القرّاء على خلاصة الامر

انّ الرواية كما يدلّ عليه اسمها ليست في الاصل سوى واقعةٍ او حادثٍ يرويه القوم اي يتناقلونهُ بينهم سواء كان موضوعها صحيحًا صادقًا او مُختلَقًا. وربّما أُطلق اسم الرواية على الاقاصيص الخرافية التي يبتكرها الكتبة لتفكيه المخيّلة وهو المراد في معرض كلامنا في هذه المقالة

والفرنج يدعون مثل هذه الروايات باسم الرومان (roman) نقلًا عن اللّغة العاميّة القديمة المعروفة باللغة الرومانيّة (langue romane) لانّ هذه القصص اكثر ما كانت تُروى في هذه اللهجة العاميّة فنها ما كان تاريخيًا واقعيًا كرومان دي بون(roman de Bon) ومنها ما كان اختراعًا بحتًا كعدّة اقاصيص تُعزى لكارلوس الكبير ملك فرنسة اسموها (romans de la Table-Ronde) ومنها ما كان على صفة رمز او مثل كرواية الوردة (le roman de la Rose) وقد اتى منها بعضها على طرز هجاء كرواية الثعلب (roman du Renard)

ومهما كان من امر اسم الرواية فانّهُ لا يشكّ احد في انّ اصلها قديمٌ جدًّا والاحرى ان نقول انّ الانسان منذ ظهوره على الارض لا يزال يطمح ببصره الى غرائب الاحوال وعجائب الامور فهو مطبوع على ذلك بالفطرة يأنس بمثل هذه الوقائع المبتكرة ويصرف اليها خيالهُ ويخترعها ليسرّ بها ابناء جلدته

وأقدم ما بلغ الينا من هذه الروايات تراهُ على هيئةٍ شعريّة ومقيّدة بالنظم كما يصدق ذلك في بقيّة المحفوظات العقلية العريقة في القِدم فانّها جميعًا محلاة بايقاع النظم لتتشنّف بها الآذان وتنطبع في الذاكرة. امّا ما كان منثورًا من هذه الروايات فلا يرتقي الى زمن قديم. وقد بيّن المؤرخون انّ الروايات الحماسيّة القديمة وما شاكلها ممّا لا يعرف الآن الّا نثرهُ كان في سالف الازمان مرويًّا بالشعر

وهذا امرٌ يصحّ تبيانهُ في تاريخَي الغرب والشرق معًا. فانّ للهنود والصينيّين مجاميع ضخمة من الروايات الحماسية الخيالية وكلها بالشعر يبلغ بعضها ما ينيف على عشرين الف بيت من النظم. وكذا قل عن الفرس الاقدمين وعن العجم كما ترى في كتاب الملوك (شاه نامه) للفِردَوسي. ولا نظنّ ان العرب شذّوا عن هذه القاعدة العمومية وفي تحماتهم

ودواوينهم القديمة شاهد على ذلك كما ترى في قصائد المهلهل وغيره

وكان لليونان كلف بالروايات الخيالية وليست قصائد اوميروس البليغة في أشيل وعُوليس سوى صنف من الحكايات القزيّة التي تستند الى بعض حوادث تاريخية. وكلّها بالشعر ايضًا. واوّل رواية خيالية وردت عندهم في النثر اذا استثنينا امثال ايزوب (لقمان) اسمها «في غرائب ما وراء تولة» مداره على خبر اسفار عجيبة كاسفار السندباد البحري. وفي العصر التالي صنّف أريستيد الملطي الأقاصيص الملطية وهي حكايات غزلية منافية للآداب كلف بها معاصروه. وجاء بعده غيره من الكتبة فسلكوا مسلكه في صقلية وقد ذهب الدهر بكتبهم غير مأسوف عليها الّا ان الكتّاب الرومانيين كبارتينيوس ولوسيان وأكويلة نقلوا عنها في تآليفهم في آخر عهد الجمهورية الرومانية

امّا الرومانيون فلم يبرعوا بتصنيف الحكايات الخيالية ولا يُذكر لهم غير حكاية بسيخي (Psyche) وتآليف بترون وكلّها موسوم بالخلاعة وسوء الآداب تنطق بلسان حالها عمّا جُبل عليه اهل ذلك الزمان من القبائح والرذائل. وقد جاء بين كتبة عصرنا من ماثلهم دعارةً وقحة وقانا الله من شرهم

هذا ولمّا صارت الدروس اليونانية الى انحطاط وتقهقر نما فيها عدد كتبة الروايات التخيلية. فكتب ألسينون وأرستينيت روايات على شكل المراسلات. ومن اعمال ديُون كاسيوس بعض من هذه التصانيف لا تخلو من دقّة وحسن تصوّر. وتوفّرت بعد ذلك كتب الروايات حتّى شاعت في كل انحاء بلاد اليونان ولا حاجة لتعداد كل هذه التصانيف التي لا طائل كبير تحتها كروايات ادام وسيمونيس ولوسيب وغيرهم. ثمّ سكنت حركة هذه المؤلّفات مدّة ستة اجيال فتناساها القوم وشُغلوا بشواغل أُخر ثنت بالعقول الى ما هو انفع لها وانسب بمقامها (ستاتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وربّما كان مولد زين الدين بن علي في اواخر ايّام والده علي المذكور حتى طابق

زمانهُ زمانَيْ جمال الدين وسعد الدين المذكورَين على ما سنوردهُ فيما بعد ان شاء الله . وربَّما كان عليٌّ المذكور اوَّل من سكن منهم بعرامون (١

ذكر جمال الدين حجّي بن كرامة بن بُحتر

قيل انَّ حجّي هذا كان اصغر الاربعة الاخوة اولاد كرامة بن بُحتر وانَّ صاحب بيروت هادنهم واستدرجهم الى ان اجتمع الثلاثة الكبار معهُ في الصيد . واما حجّي فكان طفلًا صغيرًا منقطعًا عند امهِ في الحصن وتكرَّر اجتماعهم معهُ في الصيد (22^v) وهو يعطيهم ويُحسن اليهم وكان معهُ في المرَّة ولدهُ فدعاهم الى عرسهِ . فلمَّا كان وقت العرس نزل الثلاثة الى بيروت فانزلهم صاحبها في بستان ظاهر البلد واعتذر اليهم لايوائهم خارج البلد لكثرة ما اجتمع فيهِ من طوائف الفرنج لوليمة العرس وزاد في اكرامهم . ولمَّا دخل الليل سألهم الحضور الى مجلس خاص قد هُيِّئ لهم ولملوك الفرنج فدخل الثلاثة الى القلعة ومعهم نفرٌ قليل فكان آخر العهد بهم . وركب صاحب بيروت بمن عندهُ من جموع الفرنج في صبيحة تلك الليلة وطلعوا الى الحصن وكان خاليًا من الرجال . فهرب من كان بهِ ومن جملتهم امُّ حجّي وولدُها حجّي فنهبت الفرنجُ الحصنَ وهدموهُ وألقوا حجارتهُ في الوادي ولم يُبقوا لهُ اثرًا واحرقوا القرايا واسروا من تخلَّف عن الهرب وكان الاكثر قد هربوا واستتروا في

---

١) وفي حاشية الكتاب ما نصُّهُ : « ذكر بيان وايضاح لكيفيَّة مُعاصَرة زين الدين ولد شرف الدولة عليّ المذكور : وجدتُ كتاب مُشترى لحجّي بن كرامة بنصف فدَّان من رمطون ابتاعهُ من بحتر بن علي ابن عمهِ . وتاريخ المكتوب المذكور سنة اثنتين وستمائة فدلَّ على انَّ بحتر البائع كان في هذا التاريخ رجلًا كاملًا يبيع ويشتري . واماَّ زين الدين بن علي اخو البائع فكانت وفاتهُ سنة خمس وتسعين وستمائة . ولعلَّ تاريخ المكتوب المذكور كان قبل مولد زين الدين بن علي فدلَّ ذلك على انَّ زين الدين في اواخر ايَّام ابيهِ شرف الدولة علي وانَّ ايَّام زين الدين تأخرت الى ايَّام جمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين . ونسخة كتاب المشترى المذكور ملصوق تجاه هذه الورقة (كذا في الحاشية ولعلَّ هذه النسخة وقعت من الكتاب فانا لم نجدها فيهِ)

« الدليل على ان زين الدين بن علي متأخر من ايَّام اخوتهِ وابيهِ انهُ ولي عند جمال الدين بن حجّي واخيهِ سعد الدين ولدي محمَّد بن محمَّد (كذا) بن حجّي بن كرامة وتزوَّج اختهما وقيل انها ربَّاهُ وهو صغير وعلى هذا فيكون اصغر منها سنًّا »

الشَّعْراءات والاودية. وقيل انّ هذه الكائنة وقعت في اواخر دولة الملك العادل نور الدين بن زنكي والملك العادل توفي في الحادي عشر من شوّال سنة سبع وستين وخمسمائة (١

فلمّا حضر السلطان الملك الناصر بن ايُّوب لفتح بيروت في الحادي عشر من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة لاقاهُ حجي الى قرية حَلْدا(٢. فلمّا فتح السلطان بيروت لمس بيدهِ رأس حجي وقال لهُ: ها قد اخذنا ثارك من الفرنج فطيّب قلبك . وانت مُستقرّ مكان ابيك واخوتك وكتب لهُ منشورًا علامتهُ « الحمد لله وبهِ توفيقي » تحت سطرِ بعد البَسْمَلة. ومن مضمونهِ بعد الترجمة: « باجراء الامير جمال الدولة (23^{r}) حجّي بن كرامة على ما بيدهِ من جبل بيروت من اعمال الدامور لمّا وصل الى الخدمة السلطانية. وتحقّقنا ما جرى عليهِ من جانب الكفّار خذلهم الله وهو ملكهُ وارثهُ عن ابيهِ وجدّهِ وهي: سرحمود وعين كسور وَرَمْطون والدُّوَيْر(٣ وطردلا وعين درافيـل (٤ وقرار وذلك حبسًا منًّا عليهِ واحتسابًا اليهِ بمُناصحتهِ وخدمته ونهضته في العدوّ الشاغر لهُ ». والتاريخ: « كُتِب بارض بيروت في العَشر الآخَر من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة » (١١٩٧ م).

ووجدتُ بين المناشير القديمة منشور لحجّي اردتُ ان أُثبت ذكرهُ هاهنا ليتّضح انّ حجّي المذكور لحق اواخر دولة الملك العادل نور الدين. وهو منشور من الملك العادل المذكور باسم حجّي ويخوّلهُ جَبية فقط وانّها من أقطاع حجّي بن كرامة امير الغرب واقاربهِ وجعلها باسم ثمانية نفر ولعلّهم كانوا جُندَهُ. تاريخهُ في آخر رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة (١١٧٠ م) . وربّما كان قد كُتب هذا المنشور في صِغَر حجّي زيادةً على ما بايدي اخويهِ . وسمعتُ ممّن لهُ خبرةٌ باخبار السَّلَف انّهُ لمّا غدرت الفرنج باولاد كرامة

---

١) لا نعلم ما من الصحّة في خبر هذا الامر الشنيع فانّا لم نجد لهُ ذكرًا في كتب التربيين التي لدينا مع كثرة تفاصيلها. وقد رواه ابن سباط

٢) وهي اليوم تعرف بخان حلدا كانت قديمًا بلدة صغيرة

٣) عين كسور من الغرب الاسفل . امّا الدوير فلعلّهُ دوير الرمّان في الجرد

٤) عين درافيل من مقاطعة الشحّار

كان عُمر حجي بن كرامة سبع سنين فعلى هذا كان عمرهُ في حضور الناصر بن أيُّوب نيفاً عن عشرين سنة (١

وقد وقفتُ على مكاتبة من السلطان الملك الافضل نور الدين علي بن الناصر بن أيُّوب(٢ وهو جواب كتابٍ ارسلهُ حجي المذكور اليهِ · مضمونهُ ترغيب واستعطاف (٢ ز ٤) وحثّ على الجهاد وانَّهُ قد أقطعهُ الغربَ جميعهُ وأن يحلّف اقاربهُ على الطاعة السلطانية تاريخهُ سادس عشر من رمضان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (١١٩٧) (٣ وكان الافضل صاحب دمشق وفي أيَّامه ارسل جيشاً للغارة على الفرنج ببيروت

ووقفتُ ايضاً على منشور لحجي المذكور من الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك العادل (٤ الى بكر بن أيُّوب (٥ العلامة «الحمد لله وبهِ توفيقي» ومن مضمونه بعد الترجمة بإجراء المذكور على ما بيده من جبل بيروت من اعمال الدامور على عادتهِ المستقرَّة في ايَّام الملك الناصر بن أيُّوب · وتاريخ منشور الملك العزيز في الخامس والعشرين من جمادى الاولى سنة تسع عشرة وستمائة (١٢٢٢ م)

ووقفتُ ايضاً على كتاب لحجي من السلطان بالعلامة المذكورة من مضمونهِ المختصر أنَّهُ جهَّز الى الفرنج بان يُجْروا حجي واصحابهُ على عادتهم ورسومهم واطلاقاتهم · وان لا

---

١) حاشية وردت في آخر الكتاب بقلم كاتبهِ: «في هذا القول نظرٌ ويمكن ان يكون لكرامة ولدان اسم الاوَّل جمال الدين حجّي وكانت لهُ جبة بمنشور الملك العادل ثم توفّي ورُزق ولداً ثانياً سمَّاهُ باسمِ حجّي فيكون هو الذي لاقى الملك الناصر بن أيُّوب الى حلدا لمَّا قدم بيروت والله اعلم»

٢) الملك الافضل هو ابن صلاح الدين الأيُّوبي تولى الامر في دمشق سنة ٥٨٢ (١١٨٦م) الى سنة ٥٩٢ (١١٩٦ م) فانتزعها منهُ الملك العادل عمهُ واعطاهُ بدلها صرخد ثم دخل الديارَ المصرية فولّاهُ الملك المنصور ابن الملك العزيز رتبة الاتابكيَّة. ولمَّا قصد الملك العادل عمُّهُ الديارَ المصريَّة واخذها ولّى الملكَ الافضل سُميساطَ فمات بها سنة ٦٢٢ ﻫ (١٢٢٥ م)

٣) في هذا التاريخ نظرٌ لانَّ الملك الافضل كان خُلع من سلطنة دمشق قبل ذلك بسنة كما مرَّ في الحاشية السابقة

٤) هو اخو الملك الافضل وابن صلاح الدين تولّى الديار المصرية عن ابيهِ ثم استقلَّ فيها بعد وفاتهِ سنة ٥٨٩ (١١٩٣م) توفّي الملك العزيز سنة ٥٩٥ (١١٩٨م)

٥) نظنُّهُ احدَ عمَّال الملك العزيز الأيُّوبي ولم نطَّلع على شيء من اخباره

يسروا عليه عادة وإن خالفوا لا يلوموا الّا انفسهم ويضمن لحجي اذا طيّب قلبهُ وشرح صدرهُ ان لا يسر عليه الفرنج. وهذا يدلُّ على مهادنة الفرنج في ذلك الوقت وانَّ حجي ارسل وتشكّى منهم

وحجي المذكور جرى لهُ حوادث كثيرة مع الفرنج لانَّ في ايّامه كانت قوّة شوكتهم وكانوا قد قتلوا اخوتهُ واخربوا حصنهم وربّما كان خاطرهُ مكدَّرًا عليهم (١ . . .

وقد سمعتُ بعض المتقدّمين يقول لمَّا خُرب حصن سرحمور سكن حجي واقاربهُ طردلا ثمَّ بعدها اعبيه واما عليّ بن بُحتر فانفرد الى عرامون ومنهُ الذريّة وسكنوا طردلا ثمَّ بعدها اعبيه. ومن ولد عليّ المذكور زين الدين وذرّيتهُ الذين سكنوا عرامون وسيأتي ذكرهم ان شاء الله تعالى. وربّما كانت مدّة حجي المذكور طويلةً لانا قلنا عنهُ انَّهُ حضر فتوح بيروت مع الملك الناصر بن ايّوب وعمرهُ نيّف وعشرون سنة وبقي الى بعد السنة الستّاتة سنين كثيرة. ولم أقف لحجي المذكور ولا لوالده كرامة ولا لعمّه علي ولا لجدّه بحتر على ذكر وفاة ولا مولد. والظاهر لنا انَّ الاقدمين وثقوا بمعرفة اخبار من قبلهم واهملوا الكتابة فنسي من جاء بعدهم اخبارهم ولهذا عملتُ هذه التذكرة لتدوين ذكر السلف. ولمحمّد بن عليّ الغزّي شاعر امراء بني الغرب بيتان من مقامة جمعها مديحًا في السلف وذكرًا لانسابهم:

أبقى حجاةً كرامةً في بحترٍ ... وجُميهر شرفت به قحطانُ

فلكندةٍ ولجندبٍ ولمذحجٍ ... سعدٌ به في طيّه نبهانُ (٢

ذكر ولده محمّد بن حجّي

ثم من بعده نذكر ولدهُ الامير نجم الدين محمّد بن حجي بن كرامة. كان في مكان والده حجي وعلى إقطاعاته واملاكه وقاعدته في مُشاغرة للفرنج (ستاتي البقيّة)

---

١) قد ورد هنا في الاصل منشور آخر أُعطي لحجي بن محمَّد بن حجي رواهُ المؤرخ هنا سهوًا وقد نبّه عن غلطه في حاشية

٢) راجع لفهم هذين البيتين نسب امراء بني الغرب والجدول الاول ص ٣٧٣

رواية الشقيقتين

للاب هنري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبل)

٤

اذا ما اقبل الخريفُ وضرب في الارض أطنابهُ اصاب المرء بقدومهِ تنعُّما وراحةً لم يعهد بهما في غير هذا الفصل . ولا شكَّ انَّ في ترطُّب الهواء بعد لَهَب الصيف وفي هبوب النسيم ومنظر الاشجار يعلو اوراقها لون الكمدة والاصفرار مُتعةً وبهجةً يحدوان بهِ الى التفكُّر والاعتبار وذلك في ساعات المساء اكثر منهُ في غيرها من الاوقات لمَّا يكوّر اللهُ الليلَ على النهار فيمدُّ على الطبيعة رداء تلوح من خلالهِ كَــبَدةٍ مهيبة جليلة فتتَّسع الآفاق بأعين البشر وترتفع انفسهم الى الاعالي . فللّهِ تلك الساعات اللذيذة يقضيها المرء في الفكر وهذيذ القلب ويتقرَّب الى خالقهِ شاكرًا لهُ على ما اولاهُ من النعم السابغة بيد ان هذه الآونة وشيكة الزوال تمرُّ بسرعة البرق

فلمَّا كان مُنتصف تشرين الثاني في مساء نهارٍ صنيّ الأديم بهيّ الانوار عند امتداد الظلام على الارض وطلوع زواهر النجوم في السماء كانت وردة جالسةً بقرب اختها سوسنة في رواق الدار بازاء الجنينة وفيها الازهارُ تعطِّر بعرفها الارجاء والاشجارُ موسوقة باثمارها الشهيَّة لا يُسمع سوى صوت خرير الماء يتحدَّر من فوَّارة على شكلِ غلالة في حوض من رخام بُني وسط الدار وعن بعد صوت موج البحر المتكسّر فوق صخور الساحل

فبقيت الاختان هنيهةً تسرّحان النظر في هذه المناظر وكلتاهما صامتة لا تبديان حراكًا كأنَّ الاجتماع اضحى لهما عِبئًا ثقيلًا بعد ان كانتا لا تذوقان بغيرهِ لذَّةً . واذا بقمر رأس بيروت سطع بغتةً فرمى باشعَّتهِ الذهبية على دار الاختين وانار وجهيهما فالتفتت وردة الى شقيقتها فرأت عينيها مغرورقتين بالدموع . فما كان منها الَّا ان صرخت :

ما هذا يا سوسنة ؟ تُرى ماذا اصابكِ ؟ أنكِ لكاسفة البال يؤلم قلبكِ البلبال فما لكِ تخفينَ عني سبب حزنكِ ؟ أفتكون سعادتي المأمولة علّةً لشقائكِ ؟

فأطرقت سوسنة واجمةً ثمَّ القت بنفسها على صدر اختها وهي تبكي ثم قالت :

يا اختاهُ اني سأفقدكِ عمّا قليل واذا ما تأملتِ لا يعود حبُّكِ لي كن ذي قبل وسوف تبرحين الدار وتصيرين الى ما شاء الله . . . أورِدةُ شقيقتي لو امكنكِ ان تشعري بما يحسّهُ قلبي من الألم فانّهُ حقيقةً يتلظّى على جمر القتاد ولا ادري اذا لم يتفطّر بعد فراقكِ

قالت هذا واذرفت الدموع السخينة وعلا صوتُ بكائها بينما كانت تحاول ان تخفي عن اختها ما في قلبها من الغَيرة والحسد

امّا وردة فما لبثت ان تبيّنت حقيقةَ الامر فكان لاكتشافهِ في قلبها صدًى مؤلمًا رنّق عيشها وذهب ببهجتهِ فلم يعد يمكنها ان توجّه نظرها الى اختها دون ان تلوم ذاتها على سعادتها

فمرّ على ذلك بضعة ايّام وكان كلّما قرب النهار المعيّن لحفلة العرس تزيد في قلب سوسنة مضض الاوجاع لم تجد لسترها عن العيون طريقةً فتارةً تُظهر ما اكنّهُ الفؤاد بحدّة طبعها وتارةً باختلائها عن اهلها وحينًا بتغلُّب السَّوداء على خُلقها وخَلقها حتّى شحب لونها وخاف ابواها ان تَضنَى منها القوى وينالها داءٌ عياء

لكنَّ الفتاة أحسّت بعد حين انَّ العيون شاخصة اليها تستشفُّ ما في جنانها فتجلّدت وتجمّلت حتّى حجبت عن الكل مكنونات ضميرها فعاد التبسُّم الى وجهها وأبدت لمن قاربها انسًا ولطفًا كما اعتادت الامرَ في السابق. ثمَّ اخذت تجدُّ وتسعى بنشاط جديد لتهيئة لوازم العيد القريب مع ما ترى في قدومهِ من زوال سعادتها. ومُجمل القول انّهُ لم يعد احدٌ في البيت يقف على ما يتنازع قلبها من الخواطر والهواجس. بيد انَّ وردة لم تكُ لتنخدع بهذه الظواهر فلبثت مرتابةً في امر اختها

ولمّا حان اليوم المعهود واوقع كلا الخطيبين على الشروط المألوفة في مثل هذه الظروف احتفل المسيو ب. بعقد الخطبة بما امكنهُ من الأُبّهة والاحتفال. فنجز الامر اذًا وقرَّ لوردة ان تُكنَّى باسم بارونة دي كَلِنس باقترانها مع خطيبها الشريف

٥

فبانت الاختان في هذا العيد مرتبطتين بروابط المودّة والولاء ما أمكنهما. فقضتا مع آل البيت قسمًا كبيرًا من النهار لاستقبال جماهير الحاضرين لتأدية فروض التهاني الى العائلة. وكانت بطاقات الزيارة والمكاتيب والتلغرافات تَرد من كلّ الانحاء داعية للقرينين

باليُمن والرفاء. ولمّا كان البارون من ارباب السياسة تواردت عليه هذه الأنباء من كلّ عواصم اوربّة كفيَنّة وأثينة وغيرهما تتمنّى له الخير والسعادة. وكان الجميع يتيمّنون لهذا القران حُسن العقبى لما يروهُ في العروسين من الخواصّ والسجايا التي لم تكد تجتمع في غيرهما كالغِنى والجمال والآداب والدين. وكان الزوّار يُطنبون في محاسن وردة لا يرون بينها وبين الورد خلافًا سوى أنها لا شوك فيها

امّا سوسنة فكان يلوح على محيّاها بهجةٌ شديدةٌ حتّى لم يشكّ احدٌ عن صفاء قلبها واخلاص ودادها ألّا انّ اختها لحت في بشاشة وجهها تصنّعًا وتجمّلًا مع امتقاع في لونها واصفرار في وجنتيها

فلمّا كان المساء نحو الساعة التاسعة دخل لفيف الاهل والاقارب الى الديوان الكبير يتقدمهم الخطيبان الجديدان وكانت سوسنة رافلةً في ابهى ملابسها تزينها الحلي والمدوغات وهي متمنطقة بنطاق ازرق ناصع اللون مرصّع بالحجارة الكريمة يبدو حسنهُ فوق ثيابها البيضاء كالثلج

امّا وردة فكانت بخلاف الامر لابسةً لبسًا بسيطًا حتّى لو رآها غريب لظنّ انّ اختها صاحبة العيد ليست هي. اما الحليّ فلم ترضَ منها سوى بصليب صغير من الذهب كان يلوح على صدرها وسوارَين من الفضّة في زنديها وكان شعرها الاشقر مجموعًا فوق رأسها تضمّهُ عصابة سوداء ذات عقـدة واسعة. ولمّا اشارت اليها أمّها ان تستبدل هذه العصابة بغيرها من اللّون الارجوانيّ اجابتها ابنتها بلطفٍ:

اني أوثر الأسود . واختلاف الالوان في اللبس اجود. هذا وان احببتِ يا امّاه ان اغيّر هذه العصابة لفعلتُ وفقًا لرضاكِ

فاجابتها أمّها: إبقي كما شئتِ يا مهجة الفؤاد. فدونكِ هذه الوردة شكّيها في نطاقكِ وكُني بذلك لهذا المساء لانّ الوقت قد حان وجماعة المدعوّين في انتظارك

فلمّا دخل الجمهور الى القاعة كانت نوافذها مفتوحة يزفّ اليها هواء الليل روائح الزهور العطرة القائمة في حديقة الدار. وكانت انواع الثريّات تنعكس في مرايا الجدران والخشب المصقول فتجعل الديوان كأنّهُ شعلة نار هذا مع ما في القاعة من النقوش والصور الحسنة البهيّة

فانتظم القدم كلٌّ بمكانهِ والمدعوّون في ثيابهم العيديّة وارباب الامر منهم في

ملابسهم الرسمية . امّا السيدات فلم يدعنَ في ذلك اليوم شيئاً من الازياء المستجدَّة ليَخطِرْنَ في حلاهنَّ ويتبارينَ حسناً وجمالًا

فابتدأ العيد بفرح ومزيد مسرَّة . ولكن لمّا اراد الخطيبان ان يفتتحا السهرة بالرَّقص المعهود اذا بسوسنة امتقع لونها فوقعت مغشياً عليها في وسط الديوان . فاسرع الناس حولها ونضحوا الماء على وجهها . فأفاقت بعد برهة

فما شعرت بما جرى لها حتى علا وجهَها الاحمرار خجلًا فانتحبت مستميحة العذر لكثرة ما أصابها من التعب ذلك النهار ثم جلست مكانها وأبت ان تركن الى الراحة في غرفتها بل احيت ليلها رقصاً مع الراقصين

فلمَّا قرب منتصف الليل والقوم في جلبة وبسط وجَّهت سوسنة النظر الى اختها كأنها تريد ان تبيّن لها انها تقاسمها فرحاً وتشاطرها سروراً الّا انها لم تبصر بوردة فجعلت تسرّح الطرف في المجلس قلقةً فلم ترَ لها اثراً . ثم قامت وسألت والديها ثم البارون دي لينس وبقيَّة المدعوين اين اختها فلم يُجِرْ احدٌ جواباً

فهتفت سوسنةُ بصوت الكآبة واليأس : شقيقتي وردة شقيقتي تُرى اين ذهبت شقيقتي ؟

قالت هذا وجعلت تسرع في الديوان ذهاباً واياباً كأنها فقدت رشدها . ثمّ خرجت من القاعة والاهل في اثرها

فاخذ الجميع في البحث والتفتيش في كلّ حجرةٍ وتفقَّدوا كلّ زاوية من زوايا الدار حتّى التمسوا من الجيرة عن الخطيبة خبراً الّا ان طلبهم لها ذهب ادراج الرياح وأنكر الجميع انهم رأوها . فارتاع المدعوون لهذا الامر واستولى الرُّعب على القلوب . امّا السيِّدة ب . فاستُطير لُبها روعاً وغُشي عليها واذا بصوتِ امرّ من وقع الحسام سُمِع من جهة الغرفة التي كانت تسكنها وردةُ

فاسرع الجميع الى تلك الناحية يتراكضون وهم في حيرة من امرهم واذا بسوسنةَ لا تعي كدراً ولوعةً وفي يدها بطاقة كتبت فيها الأسطر الآتية على عجلَة :

الوداعَ يا ابتِ الوداعَ يا امّاهُ وايّاكِ ايضاً اقريتُ الوداعَ يا شقيقتي . لا يطلبْني احدٌ منكم فانكم لا تجدونني . وانت أيها البارون دي لينس قد حُلَّت وثاقُك فانت حرٌ اطلب سواي وعشْ لسعادة غيري . ودمتم

وردة ب .

والحقُّ يقال انَّهُ لو كانت الصاعقة وقعت في وسط الدار بين ظهراني القوم لمَا أثرت في القلوب تأثيرًا اعظم ولا اصابتها بحيرة اشدّ. فللحال صمتت الالسن وتبدَّدت اجواق الراقصين وهدأت رنَّات المزاهر والملاهي وطُفِئت المشاعل والثريات وهمَّ المدعوون في الخروج واحدًا بعد آخر. امَّا السيّدات والصبايا اللواتي لم يأتينَ الى هذه الدعوة سوى لترويح الخواطر وطلبًا للملذَّات والرقص فتبلبلت افكارهنَّ وتولَّى عليهنَّ الدهش واسرعن الى الباب ليركبن العربات ويَمْدُنَ الى بيوتهنَّ لأنهُ مذ حلَّ الدهر بنكباتهِ في هذه الدار لم يطقنَ بها السكنى. والعالم كما لا يخفى لا يحبّ بيوت المناحة ومعاهد الحزن. فتبًّا للدنيا من صديقة مُماذِقة لا خيرَ فيها

هذا وانَّ بعض الاصدقاء المُخلصين تخلَّفوا بعد خروج الجمهور ليخففوا بحضورهم ألَم المصابين ولكنهم لم يلبثوا بعد قليلٍ استأذنوا بالانصراف واستودعوا البارون والقنصل آسفين صامتين. فتلك غاية ما يصنع البشر في مثل هذه البلايا العظيمة وتضميد مثل هذه الجراح البليغة

فلمَّا صار منتصف الليل لم يبقَ في بيت القنصل سوى البارون واهل المائلة. فكنت ترى الديوان الكبير في حالةٍ يُرثى لها واثاث الدار مبعثرًا مقلوبًا وآثار الفرح والبسط ملقاةً لا يُعبأُ بها

وكان البارون جالسًا في زاوية مطرقًا الى الارض واجمًا وبقربهِ المسيو ب. يسعى بان ينهض عزيمتهُ ويقوّي همَّتهُ بينما كان يخفي في قلبهِ ما كان هو عليهِ من الكآبة. وفي قرنة اخرى من الدار كانت السيّدة ب. وابنتها سوسنة تذرفان الدموع مدرارةً. فسُمعت وتنذر طرقاتُ الساعة الاثنتا عشر فكان لها دويٌّ موجع في قلوب اهل الدار. امَّا البارون دي لينس فكان يُعدُّها كدقَّات جرس الحزن في يوم وفاة بعض الاحباب كأنَّها تُنذر بخيبة آمالهِ ونهاية ما تخيَّلهُ لحياتهِ من العزّ والسعادة (ستأتي البقية)

كتب شرقية جديدة

Serie Cronologica
DEI REVERENDISSIMI SUPERIORI DI TERRA SANTA,
nuova serie compilata dal P. G. Golubovich, *Gerusalemme*, 1898,
pp. XXXII-272, in-4

لا يجهل الناس عموماً ونصارى الشرق خصوصاً ما لحضرة الآباء الفرنسيسكان من المآثر والمشروعات العظيمة في سائر انحاء المشرق فانهم مذ تقدمهم مؤسسهم الجليل الى هذه البلاد فتح لهم مناهج الغيرة والايثار لم يزل ابناؤه يقتفون آثاره بما امكنهم من النشاط والتفاني. واذا استقريت اصقاع الشرق لا تكاد تجد مدينة خلوة من ثمر مساعيهم الطيبة. هذا وانَّ مركز اعمالهم كان خاصةً في الاراضي المقدَّسة يحافظون على قبر المسيح ويستمدون منهُ كمن مورد الحياة روحاً انعش الايمان والتقى في القلوب بعد فتورها

وعليه فانَّ تواريخهم هي في الحقيقة تاريخ النصرانية في الشرق ينبغي على كلّ طالبي الآثار القديمة مطالعتها. والكتاب الذي نحن بصدده هو من انفع ما كتبهُ مُرسَلو الفرنسيسكان من هذا القبيل. فانَّ المؤلف الاب العلاَّمة غولوبوفيش يفتتح كتابهُ بمقدّمة مطوَّلة يشرح فيها كيف صارت حراسة الارض المقدَّسة الى اخوتهِ الرهبان وبايّ حرص دافعوا عن حقوقها. ثم يسرد بعد ذلك اسماء مائتين واربعة وثلاثين راهباً تناوبوا الرئاسة او حراسة الامكنة المقدَّسة العامَّة منذ القرن الثالث عشر اوَّلهم الفرا ايليا رفيق القديس فرنسيس الاسيزي وآخرهم الفرا اوريليو بريانتي دا بويا الرئيس الحالي الجزيل الاحترام. وقد اورد المؤلف لكلّ من هؤلاء الرؤساء ترجمة ملخصة ضمنها اخصّ اعمالهِ مستنداً فيها الى تآليف وكتابات عزيزة الوجود

وقد أُلحق الكتاب بملحقين خطيرين اوَّلها يحتوي اثني عشر منشوراً من سلاطين مصر الى الرهبان الفرنسيسكان متولّي حراسة الامكنة المقدَّسة تاريخ اوَّلها مستهلّ صفر سنة ٧٩٠ هجرة (١١ تموز سنة ١٣٠٩) للملك المظفَّر ركن الدين بيبرس وآخرها الثامن من ذي القعدة سنة ٨٧٦ (١٧ نيسان ١٤٧٢). وكلُّ هذه المناشير منقولة الى اللغة الايطالية بقلم حضرة الاب لاون بوريار وهي محفوظة في خزانة سجلاَّت

الاباء القدسيّين . امّا الملحق الثاني فانّهُ يتضمّن قائمة كلّ اديرة ومقامات ومآوي الرهبان الفرنسيسكان مع ذكر اخصّ اعمالهم في كلّ منها . وكلفنا بتوفير الفائدة قد رُسمت لذلك خارطة محكمة الصنع ملوّنة . والكتاب طُبع طبعًا متقنًا في مطبعة المرسلين الفرنسيسكان في القدس .

VARIÉTÉS SINOLOGIQUES

Allusions littéraires, première série, *fasc. 8 et 13*, pp. 561, in-8, 1898

Par le P. Corentin Pétillon, S. J.

المجازات الصينيّة

للاباء اليسوعيين الفرنسيين في شنغاي من اعمال الصين مطبعة كبيرة شائعة في كلّ انحاء تلك المملكة الواسعة فاحرزوا بما نشروهُ من التآليف النفيسة اعتبارَ كلّ ادباء الصينيين . ولمّا توسّل اليهم علماء اوربّة ان يُطلعوا الغرب على اعمال الشرق الاقصى بنشر تآليف صينية لافادة الاوربيين شمّروا مع وفرة اشغالهم عن ساعد الجدّ وانشأوا سنة ١٨٩٢ مجلّةً ضخمةً وسموها بالطُرَف الصينية (Variétés Sinologiques) تظهر في اوقات غير معلومة يضمّنونها اجلّ مآثر الصين . واكثرُها مُجمَّل بالرسوم والتصاوير الدقيقة منقول الى الفرنسيّة . وعدد المجلّدات التي ظهرت الى اليوم يبلغ الثلاثة عشر آخرها كتاب المجازات الصينية يحتوي معجمًا للالفاظ التي وردت في عدّة معانٍ مجازية فيها اشارات الى احوال وتواريخ قدماء الصينيين كما ترى في كتاب اساس البلاغة وشروح الامثال للميداني والضبّي عند العرب فنشكر فضل اخوتنا المرسلين في الصين ونتمنّى لهم مزيد النجاح في خدمة الله وسبيل العلم

كتاب مجالي الغرر لكتّاب القرن التاسع عشر

جمعهُ يوسف صفير

هو كتاب حسن في بابهِ وصفهُ جامعهُ الاديب بما حرفهُ : « وهو يشتمل على كلّ ما راق من المقالات المفيدة الشائقة . والخطب النفيسة الرائقة . التي يستفيد منها الطالب . ويستعين بها كلّ كاتب . مدبّجة بيراع اشهر كتّاب العصر . الذين لهم علينا الفضل ويحق لنا بهم الفخر » . وقد قال ايضًا في مقدّمتهِ انّ غايتهُ في وضع هذا المجموع ان يهدي الى المطالعين

ابحاثاً عصريّة تاريخيّة ادبيّة فنيّة كما اوعى كتاب مجاني الادب مطالبَ قدماء الكتّاب على اختلافها. والحقّ يقال انّ في هذا المجموع عدّة مقالات جليلة المعاني رشيقة المباني لا يُنكر فضل كتبتها

الّا انّنا مع ثنائنا على همّة الجامع لا يسعنا ان نسكت عمّا تتضمّنهُ بعض المقالات من المبادئ الوخيمة التي لم يفطن اليها الجامع وكنّا نودّ ان يبقى الكتاب بريئاً منها لئلاً تصير عثرة للقرّاء. فمن ذلك نبذ لاديب بلك احتق كماته عن التعصّب والتساهل رشق بها شهداء النصرانية بنبال اللوم لانهم ماتوا في سبيل الرب كأنهُ يفضّل ان يرى هؤلاء الابطال يضحّون نفوسهم لاصنام رومة وارجاس اليونان. واقوال أُخر كثيرة في هذه اللمعة المستقبحة وغيرها ايضاً لا يسمح لنا ضيق المكان بتعدادها اكتفينا بالاشارة ليأخذ القرّاء حذرهم من مثل هذه الكتابات التي ظاهرها دسمٌ وباطنها سمٌّ. والله الموفّق الى الصواب
الاب ل. شيخو

هدايا

اهدتنا مطبعة حضرة الآباء الدومنيكان نسخةً من كتاب احسن الاساليب لانشاء الصكوك والمكاتيب تأليف الخواجا نعوم فتح الله سحّار (راجع العدد الاخير من البشير عد ١٣٣٢ وفيهِ كلامٌ عنهُ)

٢ً أرسلت لنا اربعة اعداد من المجلّة الشرقية الحديثة الموسومة Orientalistische Litteratur-Zeitung لصاحب امتيازها الدكتور ف. پيزر وفيها عدّة مقالات عن علوم الشرق وكتب الشرقيين

٣ً مقالة افرنسية في المقابلة بين الطقوس (Liturgies comparées) لحضرة الاب ج. پاريزو من رهبانية القديس بنديكتوس

شتّى

اخربة تلّو

مدينة تلّو من اقدم مدن الاشوريين موقعها بين الفرات ودجلة في غربي جنوبي بغداد بها اكتشف منذ سنين قليلة المسيو دي سارزق العلّامة الفرنسي عاديّات كثيرة يرتقي عهدها الى دول السابقة للاشوريين. الّا انّهُ كان انقطع عن حفر تلك الاخربة لانقضاء مدّة

الرخصة. وقد علمنا الآن بمزيد المسرَّة ان الباب العالي اناله الرخصة المطلوبة فاخذ يواصل اكتشافاته المهمَّة وقد عثر على عدَّة آثار من جملتها شفرة طولها نحو نصف متر عليها كتابات قديمة وقبضتها حسنة النقش

اسئلة واجوبة

كتب عن البرامكة

س كتب الينا احد المستشرقين في ليون: هل يعرف اصحاب المشرق الفضلاء كتباً عن احوال البرامكة واعمالهم غير ما ورد في الكتب المنشورة بالطبع كالاتليدي او ما جاء استطرادًا في كثير من تآليف المؤرخين؟

ج انَّ ما جاء من اخبار البرامكة في كتب الادباء والمؤرخين لا يكاد يضبطهُ حصر ومنها منشور بالطبع كالعقد الفريد لابن عبد ربهِ والاغاني ومروج الذهب ومنها ما لم يُطبع الى اليوم كتذكرة ابن حمدون وتواريخ كثيرة خطّية. امَّا التآليف المنفردة في هذا المعنى فقليلة منها اعلام الناس للاتليدي وهو مشهور ومنها كتاب احسن المسالك لاخبار البرامك ليوسف بن محمَّد الميلوي المصون في خزانة كتب باريس (عدد٢١٠٧) وقد نقلنا قسماً منهُ. ولم نجد في فهارس كتب اوربَّة الخطّية مصنفًا آخر في هذه المادّة. وقد ذكر ابو الفرج بن نديم الورَّاق في الفهرست (ص ١٣٤) كتابًا جليلًا في هذا الموضوع اسمهُ كتاب اخبار البرامكة من ابتداء امرهم الى انتهائهِ مشروحاً في نحو خمسائة ورقة للمرزباني (المتوفَّى سنة ٣٦٨ هـ). وورد في كشف الظنون لحاج خليفة تاريخ لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفَّى سنة ٥٩٧ هـ) اسمهُ: اخبار البرامكة. ولا نعلم ان بقي لهذه التآليف اثرٌ في بعض مكاتب الخواصّ ل. ش

كرلوس الكبير وهارون الرشيد

س وسأل ايضاً المكاتب السابق ذكرهُ: هل جاء في تآليف العرب ذكر ما كان بين الرشيد وكرلوس الكبير (شرلمانيو) ملك الفرنج من العلاقات الوديَّة

ج قد ورد في التواريخ الغربيَّة ان كرلوس الكبير ملك فرنسة ارسل على الاقلّ ثلاث مرَّات وفودًا الى هرون الرشيد في السنين ٧٩٧، ٧٩٩، ٨٠٣ وانَّ الخليفة من جهته اوفد الى كرلوس ثلاثة وفود. الاوَّل قبل السنة ٨٠٠ والثاني سنة ٨٠٢ اذ ارسل الرشيد للملك الفرنجي فيلًا. اما الوفد الثالث فكان في سنة ٨٠٧ قدم على كرلوس رجلٌ اسمهُ عبد الله واهدى اليه باسم الخليفة ساعةً عجيبة الاتقان. هذا وانَّ الكتبة الشرقيين الذين نُشرت الى اليوم اعمالهم لم يذكروا البتَّة شيئًا من هذه العلاقات الوداديَّة. حتَّى انهم لم يُوردوا اسم كرلوس اللَّهمَّ الَّا المسعودي في مروج الذهب (٣: ٧١) قال: «ثم ولي بعدهُ (بعد ببين) ابنهُ قارله وكانت ولايتهُ ستًّا وعشرين سنة وكان في ايَّام الحكم صاحب الاندلس». ولا يخفى انَّ هذه المخابرات بين ملك الفرنج والخلفاء العبَّاسيين سبقت عهد الرشيد وكارلوس ولكن فات المؤرخين الاقدمين ان يثبتوا عنها ولعلَّهُ ورد ذكرها في كتب اخنتها اليوم يدُ الضياع كتاريخ اخبار الزمان للمسعودي المدقّق المصيب ه. ل

الفخري

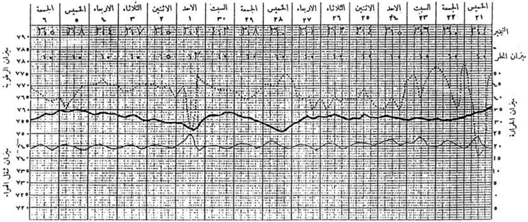
س سألنا حضرة الاب انستاس الكرملي ان نفيدهُ شيئًا عن الكاتب المعروف بالفخري

ج ليس الفخري كما ظنَّ حضرتهُ كاتبًا وانَّما هو اسم تاريخ وضعهُ تاج الدين محمَّد ابن عليّ المشهور بابن الطقطقى الرازي. (راجع ترجمتهُ في شروح مجاني الادب ص ١٢) وقد وسم كتابهُ بالفخري لانَّهُ لقيهُ عند امير الموصل فخر الدين عيسى بن ابرهيم من الخفاوة والاكرام فصنَّف لهُ هذا التاريخ الجزيل الفوائد البديع الانشاء.

سؤَال لصاحب الهلال

قرأْنا في العدد الثالث عشر من الهلال (٥١٠) تحت عنوان «اقدم كتابة في العالم» انَّ اقدم الآثار الكتابية هي كتابة بالقلم الاشوري وجدت في بلاد بين النهرين وكتبت في القرن السبعين قبل الميلاد (كذا). فنطلب من صاحب الهلال ان يفيدنا شيئًا من امر هذه الكتابة ومكتشفها ومحلّها ونحوها فنكون لهُ من الشاكرين. فانَّنا نقرُّ مع علمنا القاصر لا نعرف كتابة تتجاوز القرن السابع والثلاثين قبل الميلاد وجدها الدكتور بيترس الاميركي في شمالي جنوبي بغداد ونشرها في العام الماضي ل. ش

قائمة للآثار الجوية   من ٢١ نيسان الى ٦ أيار   ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات